الفصل الثانى

شبه المعترضين بأصل النبوات المنكرين لبعض الأنبياء

ويشمل:

المبحث الأول: شبه اليهود فى إنكار المسيح والرد عليهم.

المبحث الثانى: إنكار اليهود والنصارى لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

تمهيد:

فى هذا الفصل نعرض للمقرين بأصل النبوات ولكنهم يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون بالبعض الآخر، مثل اليهود الذين يعترفون بأصل النبوات ولكنهم ينكرون نبوة عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم بالرغم من أنهم يعترفون بنبوة موسى والأنبياء من قبله ومن بعده، ولكنهم يرفضون الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم.

وقد قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: إنكار اليهود لنبوة المسيح عليه والسلام وافترائهم على أمه واتهامهم لها بالفاحشة، وقد تناولنا فى هذا المبحث عرض شُبه اليهود فى إنكار عيسى عليه السلام، وبيَّنا الأسباب الحقيقية التى جعلت اليهود ينكرون نبوة المسيح عليه السلام.

المبحث الثاني: يتناول إنكار اليهود والنصارى لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ضمن اليهود والنصارى المستشرقين الذين افتروا على النبى صلى الله عليه وسلم وادعوا أن القرآن من تأليف محمد، وقد بحثت شبهتهم تحت عنوان "بشرية القرآن" وقد فندنا تلك الشبهة وبيَّنا تعصب المستشرقين ومخالفتهم للمنهج العلمى الذى يتشدَّقون به، وقسَّمنا الأسباب التى أدت إلى إنكار اليهود والنصارى للرسول صلى الله عليه وسلم إلى أسباب عامة يشترك فيها اليهود والنصارى وإلى أسباب خاصة باليهود وحدهم والنصارى وحدهم. ورددنا على تلك الشبهات كلها.

المبحث الأول
إنكار اليهود لنبوة عيسى عليه السلام

أولاً: اتهامهم لعيسى وأمه بالزنا:

إن الله عز وجل بعد أن بشَّر مريم عليها السلام بالمسيح حملت به ووضعته حسبما ورد فى سورة مريم﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[1]، وكان لليهود موقفٌ منـها عليـها السلام، إذ عرَّضوا بها تارة، ورموها بالزنا تارة أخرى، يقول تعالى:

(١) انظر الآيات (١٧ ـ ٣٣).

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [١]

ويقول سبحانه عن اتهام اليهود الباطل لمريم ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ [٢]. وهاتان الآيتان تبينان:

أن اليهود رموها بالفرى وهو الشيء العظيم حيث أتت بولد من غير أب، وعرَّضوا بها فى قولهم ما كان أبوك امرأ سوء أى زانيًا، وما كانت أمك بغيًا أى زانية، فمن أين لك بالولد؟ وأنهم تقوَّلوا على مريم بهتانًا عظيمًا والبهتان من البهت، وهو أن يستقبل الإنسان غيره البرئ فيقذفه، وهم قد رموا مريم البريئة بالبهتان العظيم الذى تمثل فى رميهم إياها ليوسف النجار، وهذا كذب مفرط يتعجب منه.. خاصة بعد أن أظهر الله براءتها[٣].

وقد اتفق اليهود على أن عيسى عليه السلام ابن زنا ـ برأه الله مما قالوا ـ ولكنهم يختلفون فى هذه الصفة: هل هى راجعة إليه أو إلى أمه؟

ففريق منهم يذهب: إلى أنه كان رجلاً منهم يعرفون أباه وأمه وينسبونه إلى "باندرا" الرومي، ويزعمون أن "يوسف النجار" وجد "باندرا" عندها على فراشها فهجرها وأنكر ابنها.

وقد ورد فى إنجيل يوحنا اتهامهم للمسيح بأنه ابن زنا " قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله – هذا لم يعلمه إبراهيم ، أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له إننا لم نولد من زنا " [٤]

وهذا الكلام منهم على سبيل التعريض لعيسى عليه السلام بأنه ابن زنا وذلك رد على اتهامه لهم بأنهم يتبعون تقاليد آبائهم لا تقاليد إبراهيم عليه السلام بينما هو

---

(١) سورة مريم الآية (٢٧ ـ ٢٨).

(٢) سورة النساء الآية (١٥٦).

(٣) انظر: تفسير الجلالين (ص٢٦٧) والقرطبى (٨/٢).

(٤) يوحنا ٨ : ٣٩ -٤٣ .

يوماً مع معلمه " يهشوع بن برخيا " وسائر التلاميذ فى سفر نزلوا موضعاً فجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ فى كرامتهم، فقال يهشوع ما أحسن هذه المرأة !!! يريد أفعالها ، فقال عيسى بزعمهم لولا عور فى عينها فصالح يهشوع وقال يا ممزار (ترجمته يا زنيم) أتزنى بالنظر . وغضب منه غضباً شديداً ، ولما عاد إلى بيت المقدس حرم اسمه ولعنه فى أربعمائة قرن [١] . فهنا النسبة إلى عيسى نفسه .

والتلمود يصرح بنسبة عيسى عليه السلام إلى الزنا ، ففى إحدى طبعات التلمود أن عيسى يُدعى أنه ابن الجندى يوسف بندارا أحبلت به مريم قبل زواجها [٢]

والنصوص القرآنية تبين أن مريم هى التى اتهمت بالزنا من اليهود عليهم اللعنة .

الرد على تلك الشبهة :

طهارة مريم منذ مولدها :

لقد عرض الله قصة مريم ابنة عمران منذ أن حملت بها أمها ، وقبل دعوة أمها حين وضعتها، يقول ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [٣] .

استجاب الله لدعاء امرأة عمران وقبل مريم قبولاً حسناً وأجرى الكرامات على يدها منذ أن كانت فتاة تتعبد لربها فى المحراب ، يقول تعالى ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٤]

وهذه الآيات توضح :

[أ] أن امرأة عمران دعت الله عز وجل أن يُعيذ مريم وذريتها من الشيطان الرجيم، وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بهذا فيما رواه مسلم عن أبى

(١) هداية الحيارى (ص ٣٠٥ ، ٣٠٦)
(٢) التلمود وتاريخه وتعاليمه (ص ٦١ ، ٦٢)
(٣) سورة آل عمران الآية (٣٦)
(٤) سورة آل عمران الآية (٣٦)

هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه"[١]. ثم تلا أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٢] يعلق الإمام القرطبى على هذا الحديث بقوله : " قال علماؤنا فأفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم ، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلا مريم وابنها ، ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه ، فإن ذلك ظن فاسد ، فكم تعرَض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء ومع ذلك عصمهم الله مما يرومه الشيطان"[٣]. وهذا يبين أن مريم قد حفظها الله من الشيطان ، ويدحض قول اليهود عليهم اللعنة فى رميهم إياها بالفاحشة .

[ب] أن مريم منذ لحظة ولادتها ، أحاطها الله بعنايته ورعايته وأنبتها نباتاً حسناً ورزقها رزقاً من عنده كرامة لها ودلالة على تقواها وصلاحها، حتى أن أهل السنة استدلوا بما أغدق الله عليها من الرزق على صحة القول بكرامة الأولياء،

يقول الرازي: "احتج أصحابنا على صحة القول بكرامة الأولياء بهذه الآية ووجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أن زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله، ويستفاد من تنكير الرزق فى الآية أنه كان عجيبًا وعظيمًا وغريبًا"[٤]

ووجه ارتباط ذكر الكرامة بالموضوع الذى نعرض له أن مريم كانت فى حضور دائم مع الله، ومن كان هذا شأنها فإن الله لا يتخلى عنها ويرزقها من حيث لا تحتسب.

وإذا كانت الفتاة التى تربى فى الصلاح والتقوى وتؤخذ بالرعاية والعناية من أولياء أمورها، لا يتوقع منها الإساءة فضلاً عن الفاحشة، فما بالنا بمريم التى أنبتها

---

(١) صحيح مسلم (٢/٣٤١).
(٢) سورة آل عمران الآية (٣٦).
(٣) تفسير القرطبى (٤/٦٨).
(٤) التفسير الكبير للرازى (٨/٣٢).

الله نباتًا حسنًا وقبلها بقبول حسن وكفلها لأحد أصفيائه وهو نبى الله زكريا، فإن مريم فى تلك الحالة لا يخطر على بالها أى سوء، إذ هى غافلة عن كل شيء مما يخطر لغيرها، ولذلك اصطفاها الله وطهرها، يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]

براءة مريم على لسان عيسى عليه السلام:

لقد نص الله فى القرآن الكريم على ما كان من أمر مريم وحملها بعيسى عليه السلام ووضعها له وبراءتها مما اتهمها اليهود به، وأظهر الله معجزة على يد عيسى فى المهد لكى يكف اليهود عن اتهامهم لمريم ويبرءون عرضها ويعلمون أن ولادة عيسى عليه السلام نوع من المعجزة تبين طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى وقدرته على خرق العادة.

يقول تعالى عما حدث لمريم ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا

(١) سورة آل عمران الآية (٤٢).

كُنتُ وَأَوْصَىٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[1]

وهذه الآيات جميعها تبرئ ساحة مريم مما اتهمت به وتقرر:

[أ] أن حملها بعيسى هو بإرادة الله عز وجل والغاية من ولادته بغير أب أن يجعله الله آية على قدرته وأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[ب] أنها حين حزنت لما حدث لها طمأنها الله عزو جل بكرامة أجريت لها وهذه الكرامة تمثلت في جدول صغير من الماء تشرب منه وأمرها أن تهز بجذع النخلة فإذا بالتمر يتساقط عليها لتأكل وتشرب وتقر عينها.

[ج] أن الله عز وجل علم خبث اليهود وسوء طويتهم فأمرها ألا تكلم أحدًا من البشر وتكتفي بالإشارة إلى طفلها، ولذلك حين اتهمها اليهود بهذه التهمة العظيمة أشارت إلى عيسى وإذا بالله ينطقه كمعجزة مبكرة وتبرئة لأمه العذراء ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾[2]، قيل: كان عيسى عليه السلام يرضع فلما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه، فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله سبحانه وتعالى، وردًا على اليهود الذين اتهموا أمه بالزنا، يذكر القرطبي أنه قد صح براءتها من الزنا بكلامه في المهد[3].

[د] بالرغم من ظهور براءة مريم عليها السلام على لسان عيسى الطفل الرضيع، إلا أن اليهود لم يقتنعوا بكلامه، ورموها بالفاحشة، ومن ثم كفرهم الله وكان من أسباب كفرهم افتراؤهم على مريم، يقول تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾[4]. وكفرهم من وجوه:

الأول: أنهم أنكروا قدرة الله على خلق عيسى بدون أب، ومنكر قدرة الله كافر.

---

(١) سورة مريم الآيات (١٦ – ٣٣).

(٢) سورة مريم الآية (٣٠).

(٣) تفسير القرطبي (١١ / ١٠٢، ١٠٣).

(٤) سورة النساء الآية (١٥٦).

الثاني: أنهم نسبوا مريم إلى الزنا ونسبهم إليها الزنا بعد وضوح الآيات على براءتها كفر وقد برأها الله بكلام عيسى حال كونه منفصلاً عن أمه، وكل ذلك دلائل قاطعة على براءتها من كل ريبة، ولذلك وصف الله تعالى طعن اليهود فيها بأنه بهتان عظيم [١].

وقد صرح القرآن الكريم فى أكثر من آية بطهرها وعفافها يقول تعالى ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]. ويقول سبحانه﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[٣] ، ومعنى أحصنت أى تكلفت فى عفتها كما يقول الرازي[٤].

ويضيف سيد قطب: "أحصنته فصانته عن كل مباشرة والإحصان يطلق عادة على الزواج بالتبعية، لأن الزواج يحصن من الوقوع في الفاحشة، أما هنا فيذكر الإحصان فى معناه الأصيل، وهو الحفظ والصون أصلاً من كل مباشرة شرعية أو غير شرعية، وذلك تنزيهًا لمريم عن كل ما رماها به اليهود[٥]. ومع هذه التبرئة لمريم فإن الله قد جعلها وابنها آية للعالمين من الإنس والجن[٦] آية غير مسبوقة ولا ملحوقة[٧].

ثانيًا: إنكار اليهود لعيسى عليه السلام:

بعد أن رمى اليهود مريم بالزنا، وقفوا فى وجه عيسى ودعوته فرموه بالسحر وقست قلوبهم وانتقلوا من التكذيب إلى الهم بالقتل.

ففيما يتعلق بتكذيبهم لعيسى ورميهم إياه بالسحر فإن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ

---

(١) التفسير الكبير للرازى (١١/٩٨، ٩٩).
(٢) سورة الأنبياء الآية (٩١).
(٣) سورة التحريم الآية (١٢) .
(٤) التفسير الكبير (٣٠/٥٠).
(٥) فى ظلال القرآن (٤/٢٣٩٥).
(٦) تفسير ابن كثير (٣/٢٤٦).،
(٧) فى ظلا القرآن (٤/٢٣٩٥).

مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١).

وبالرغم من المعجزات التى أجراها الله على يديه من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله إلا أن اليهود أنكروا رسالته، يقول تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢). وكانت معجزاته من الأسباب الرئيسية لتكذيبه وهمهم بقتله (٣).

الرد على اليهود فى إنكارهم لنبوة عيسى عليه السلام:

الإيمان بموسى يستلزم الإيمان بعيسى:

لقد رفض اليهود نبوة عيسى بالرغم من إيمانهم بموسى عليه السلام، وقد التفت علماء الإسلام إلى هذا فى مجادلتهم لليهود سواء فى إنكارهم لعيسى أو لمحمد عليهما السلام.

يقول ابن حزم: "يقال لهم (أى اليهود) بأى شيء علمتم صحة نبوة موسى عليه السلام ووجوب طاعته؟ فلا سبيل إلى أن يأتوا بشيء غير إعلامه وبراهينه الظاهرة من قلب العصا ثعبانًا ويده بيضاء للناظرين فيقال لهم إذا وجب تصديق موسى والطاعة لأمره فإن العقل يقضى أن ما أوجبه لنوع فإنه واجب لأجزائه كلها، فإن إحالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه فوجوب تصديق موسى وعيسى ومحمد واجب وجوبًا مستويًا (٤).

---

(١) سورة الصف الآية (٦).

(٢) سورة المائدة الآية (١١٠).

(٣) التفسير الكبير للرازى (١٢/١٢٧).

(٤) الفصل لابن حزم (١/٨٤) بتصرف.

وكلام ابن حزم فى إلزام اليهود لنبوة عيسى حجة قاطعة لأن كل دليل يستدل به اليهود على نبوة موسى يلزمهم به صحة نبوة عيسى، فإن طريق الدلالة واحد[١].

وإذا كان اليهود ليس عندهم حجة صحيحة على نبوة موسى إلا شهادة التواتر على معجزاته، فإن التواتر لمعجزات عيسى ومحمد موجود كوجوده لموسى، فإن كان التواتر يفيد تصديقًا فالثلاثة صادقون ونبوتهم معًا صحيحة، وهذا ما هُدى إليه أحد اليهود الذين أسلموا وهو الإمام المهتدى السموأل بن يحيى المغربى الذى يقول فى إثباته لنبوة عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم: وعلمت أنى لم أر موسى بعينى ولم أشاهد معجزاته ولا معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام ولولا النقل وتقليد الناقلين لما عرفنا شيئًا من ذلك فعلمت أنه لا يجوز للعاقل أن يصدق بواحد ويكذب بواحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، لأنه لم ير أحدهم ولا شاهد أحواله إلا بالنقل وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم، فليس من العقل ولا من الحكمة أن يصدَق بأحدهم ويكذب الباقون، بل الواجب عقلاً إما تصديق الكل وإما تكذيب الكل، فأما تكذيب الكل فإن العقل لا يوجبه أيضًا لأنا إنما نجدهم قد أتوا بمكارم الأخلاق وندبوا إلى الفضائل ونهوا عن الرذائل، ولأنا نجدهم ساسوا العالم بسياسة بها صلاح أهله ثم ينتهى إلى الإيمان بعيسى ومحمد يقول "فصح عندى بالدليل القاطع لنبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم وآمنت بهما"[٢] وهذا كلام صادر عن تجرد لا عن هوى، فليس من المنطق أن يُصدَّق بنبى ويكفر بآخر بالرغم من أن طريق التصديق بالأول هو بعينه طريق التصديق بالثاني.

ويواصل الإمام السموأل جداله مع اليهود ملزمًا إياهم نبوة عيسى عليه السلام بالبراهين العقلية والنقلية. يذكر فى مناقشته مع اليهود:

نقول لهم: ما تقولون فى عيسى بن مريم؟

فيقولون: ولد يوسف النجار سفاحًا كان قد عرف اسم الله الأعظم يسخر به كثيرًا من الأشياء.

---

(١) أصول الدين للبغدادى (ص ١٦٠ ، ١٦١) ونهاية الإقدام للشهرستانى (ص٤٣١) والاقتصاد فى الاعتقاد (ص١٧٠ ، ١٧١).

(٢) إفحام اليهود للإمام المهتدى السموأل بن يحيى المغربى ٥٠٧ هـ تحقيق د/محمد عبد الله الشرقاوي، الناشر : دار الهداية، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م.

فنقول لهم: أليس عندكم ـ فى أصح نقلكم ـ أن موسى عليه السلام قد أطلعه الله على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفًا وبه شق البحر وعمل المعجزات فلا يقدرون على إنكار ذلك، فإذا كان موسى قد عمل المعجزات بأسماء الله فلم صدقتم بنبوته وكذبتم بنبوة عيسى؟

فيقولون : لأن الله تعالى علم موسى الأسماء وعيسى لم يتعلمها من الوحى ولكنه تعلمها من حيطان بيت المقدس.

فنقول لهم : فإذا كان الأمر الذى يتوصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه من لا يختصه الله به ولا يريد تعليمه إياه فبأى شيء جاز تصديق موسى؟

فيقولون: لأنه أخذها عن ربه.

فنقول: وبأى شيء عرفتم أنه أخذها عن ربه؟

فيقولون: بما تواتر من أخبار أسلافنا فإنا نلجئهم إلى نقل أسلافهم بأن نقول لهم: بماذا عرفتم نبوة موسى؟ فإن قالوا: بما عمله من المعجزات

قلنا لهم: وهل فيكم من رأى هذه المعجزات؟

ليس هذا لعمرى طريقًا إلى تصديق النبوات لأن هذا كان يلزم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام باقية من بعدهم ليراها كل جيل فيؤمنوا بها.

وليس ذلك بواجب لأنه إذا اشتهر النبى فى عصره وصحت نبوته فى ذلك العصر بالمعجزات التى ظهرت منه لأهل عصره ووصل خبره إلى أهل عصر آخر وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه لأن المتواترات والمشهورات مما يجب قبولها فى العقل وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه فى هذا الأمر متساوون.

ولَعَلَّ تواتر الشهادات بنبوة موسى أضعف من تواتر الشهادات بنبوة عيسى ومحمد لأن شهادة المسلمين والنصارى بنبوة موسى ليست إلا بسبب أن كتابيهما شهدا له بذلك فتصديقهم بنبوة موسى فرع من تصديقهم بكتابيهم"[1].

هذا الحجاج العقلى الملزم لا يملك اليهود أمامه إلا التسليم والإيمان بنبوة عيسى عليه السلام، خاصة وأنه صادر من أحد أكابرهم الذين مَنَّ الله عليهم بالإسلام.

---

(١) إفحام اليهود (ص١٠٣ ـ ١٠٦).

وبعد هذا الجدال العقلى الملزم .. ينتقل بهم السموأل إلى الأدلة النقلية المسطورة فى كتبهم والتى تلزمهم هى الأخرى بالتصديق بعيسى عليه السلام، يقول:

نقول لهم: أليس فى التوراة التى فى أيديكم" لويا سور شبيط يهودا ومحط قيومبين رغلاف؟ وتفسيره "لا يزول الملك من آل يهوذا والراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتى المسيح" ولا يقدرون على جحده.

فنقول لهم: أفما علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة وملك إلى ظهور المسيح عليه السلام ثم انقض ملككم؟ فإن لم يكن لكم اليوم ملك فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل وأيضًا فنقول لهم: أليس منذ بعث المسيح عليه السلام استولت ملوك الروم على اليهود وبيت المقدس وانقضت دولتهم وتفرق شملهم فلا يقدرون على جحد ذلك إلا بالبهتان ويلزمهم على أصلهم الذى فى التوراة أن عيسى بن مريم عليه السلام هو المسيح الذى كانوا ينتظرونه[1] وهذه الاستنباطات العقلية من نصوصهم النقلية تؤيد أيضًا ما أُلزموا به قبل ذلك من اعترافهم بنبوة عيسى عليه السلام.

وبعد هذه الإلزامات يتساءل الباحث عن السبب الحقيقى وراء إنكار اليهود لنبوة سيدنا عيسى إن القرآن الكريم يقدم لنا السبب الرئيسى فى إنكارهم لعيسى عليه السلام ولغيره من الأنبياء، وهذا السبب تفرعت عنه أسباب أخرى سنذكرها.

السبب الرئيسى لإنكارهم عيسى عليه السلام:

١ـ الهوى والاستكبار:

والهوى مرض نفسى لعين إذا أصاب إنسانًا أو جماعة سد عليهم منافذ التفكير الموصلة إلى الهدى والخير، واليهود كأمة أخذوا الحظ الوافر من بين الأمم فى اتباع أهوائهم ورفضهم للأنبياء وقتلهم لهم، يقول الله سبحانه عن اليهود ﴿ **لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ** ﴾[2].

---

(١) إفحام اليهود (ص١٠٢ ، ١٠٣).

(٢) سورة المائدة الآية (٧٠).

والآية القرآنية تبرز أن اليهود إذا جاءهم رسول يخالف أهواءهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع يناصبونه العداء [١] . بالتكذيب تارة والقتل تارة أخرى والتعبير بالماضى تارة فى قوله"فريقًا كذبوا" وبالمضارع فى قوله "وفريقًا يقتلون"له توجيه كما يقول الرازى لأن الله تعالى بيَّن أنهم كيف كانوا يكذبون بعيسى وموسى فى كل مقام وكيف كانوا يتمردون على أوامره وتكاليفه.

وأما القتل: فقد وقع منهم لزكريا ويحيى عليهما السلام وكانوا قد قصدوا أيضًا قتل عيسى ولكن الله نجاه منهم.

فذكر التكذيب إشارة إلى ما فعلوه مع موسى عليه السلام لأنه قد مضى زمانه وذكر القتل بلفظ المضارع إشارة إلى معاملتهم مع زكريا ويحيى عليهما السلام لكون ذلك الزمان قريبًا فكان كالحاضر[٢] .

وفى سورة البقرة يربط القرآن الكريم بين الهوى والاستكبار، يقول تعالى ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [٣] .

وقد جاءت هذه الآية بعد التذكير برسالة عيسى عليه السلام وقوله"بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم "نهاية الذم لهم لأن اليهود كانوا إذا أتاهم رسول بخلاف ما يهوون كذبوه وإن تهيأ لهم قتله قتلوه، وإنما كانوا كذلك لإرادتهم الرفعة فى الدنيا وطلبهم لذَّاتها والتَرَؤُّس على عامتهم وأخذ أموالهم بغير حق وكانت الرسل تبطل عليهم ذلك فيكذبوهم لأجل ذلك ويوهمون العوام من قومهم بأن الأنبياء كاذبون فى رسالتهم ودعوتهم[٤] . والكبر آفة خطيرة وهو صفة يدعيها الإنسان لنفسه وليست من خصوصياته بل من كمالات الله سبحانه فهو العزيز الجبار المتكبر، وهذا الادعاء ينشأ لدى الإنسان من الجهل والغباء والإعجاب كما يترسخ لعوامل أخرى مثل الجاه

---

(١) الكشاف (١/٦٣٣).

(٢) التفسير الكبير للرازى (١٢/٥٥).

(٣) سور البقرة الآية (١٨١).

(٤) التفسير الكبير للرازى (٣/١٩٨).

المادى أو الثراء أو التمكين فى الأرض أو كونه أفضل من غيره وهكذا .. واليهود من هذا الجانب تكبروا وتجبروا فقالوا ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[١]. وتارة أخرى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[٢] . وتارة ثالثة ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾[٣].

ومن ثمَّ عقّب الله بعد وصفهم باتباعهم الهوى والاستكبار علة ذلك فى قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[٤].

وفى قوله تعالى ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[٥].

أى أن قلوبنا ممتلئة علمًا فلا نحتاج إلى علم أحد وقد لعنهم الله بكفرهم أى بسبب اجترائهم وافترائهم وهذا هو الجزاء على الذنب بأعظم منه[٦]، وقد كان اليهود لا يكترثون بما يقع منهم ويحسبون أن لا يترتب أى شر على ما يصنعون، ولكن الله رتب على أعمالهم وجزاهم عليها فعموا وصموا عن الحق لا يهتدون إليه، وبعد أن تاب الله عليهم رجعوا إلى ما كان منهم[٧].

٢ـ المادية المفرطة التى سيطرت على اليهود:

من الأسباب التى جعلت اليهود ينكرون رسالة عيسى عليه السلام المادية المفرطة التى سيطرت عليهم وجعلتهم ينظرون إلى أنبيائهم من خلالها، فاليهود كانوا ينتظرون المسيح وتعلقت آمالهم بظهوره، وكانت صورة ذلك المسيح تأخذ أوصافًا متعددة فى فترات تاريخهم المختلفة، فقد انتظروا ملكًا فاتحًا مظفرًا من نسل داود، ولما لم يتحقق لهم ذلك أطلقوه على كل من يعاقب أعداءهم ويفتح لهم باب الخلاص من أسرهم إلى حد أنهم أطلقوا درجة المسيح على "قورش الفارسي" لتخليصه إياهم من الأسر البابلي، وأطلقوا لقب المسيح على بعض الولاة حين أعاد

(١) سورة المائدة الآية (١٨).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٨١).
(٣) سورة آل عمران الآية (٢٤) وانظر الدعوة والإنسان (ص٤٣١ ـ ٤٣٣).
(٤) سورة البقرة ت الآية (٨٨).
(٥) سورة المائدة الآية (٧١).
(٦) تفسير القرطبى (٢/٢٥).
(٧) تفسير ابن كثير (٢/٨٠).

لهم بناء البيت فى السنة الثانية للملك "داريوس" ولما وقعوا تحت الحكم الرومانى انتظروه مخلصًا لهم من الذل والعبودية، وكانوا ينتظرون أن يعيد إليهم دولتهم ويأتى لهم بالخيرات، وجعلوا له علامات من هذه العلامات أنه إذا حرك شفتيه بالدعاء ماتت جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود، ومن علاماته أيضًا أن الذئب والتيس يربضان معًا وأن الأسد يأكل التبن كالمعز، كل هذه صفات حددوها للمسيح المنتظر.

فلما جاء المسيح عليه السلام بدعوته التى تدعو إلى السماحة والبر والرحمة والعمل للآخرة والتبشير بملكوت الله، ولم يتحدث إلى الشعب باللغة التى كان ينتظرها منه، وكان يدعو إلى التأمل فى النفس وحب الغير والتواضع والإيمان العميق بالله، فى حين أن اليهود كانوا ينتظرون دعوة إلى الصراع المسلح وإعلانًا للجهاد الأكبر والأخير قبل الانتصار الخالد، إنه لم يقل لهم قوموا فالمسيح الذى اختاره يهوه معكم، بل قال مهددًا بالتوبة ليوم الحساب، وقال "دعوا ما لله لله وما لقيص لقيصر"[1]. لما جاء بهذا ولم يحقق لهم ما تخيلوه ، كذَّبوه لا لشيء إلا لأنه أراد أن يخرجهم من أوهاد المادية المفرطة التى انتكسوا فيها وكثيرا ما حاولوا الوقيعة بينه وبين الولاة من الرومان[2]، وكان المسيح عليه السلام ينجيه الله من مكرهم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن اليهود مازالوا ينتظرون المسيح الذى تخيلوه يقيم لهم الدولة ويجمعهم من شتات الأرض ليتمتعوا بالخيرات فى الدنيا قبل الآخرة ، حسب زعمهم[3] .

وتبعاً لتكذيب اليهود للمسيح عليه السلام فقد وصفوه بأبشع الأوصاف وامتلأ التلمود بهذه الأوصاف مثل غشاش بنى إسرائيل ـ الأحمق، المجذوم[4]، ولا يكتفى التلمود بوصفه بهذه الأوصاف فى الدنيا بل يحدد مصيره فى الآخرة ويذكر عنه بأنه " موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار وقد أتت به أمه من العسكرى "باندرا" عن

---

(١) متى الإصحاح ١٢/٣١.

(٢) انظر : هداية الحيارى (ص ٢٠٩) وقصص الأنبياء للنجار (ص٤٧٠) وتفسير المنار (٣ / ٢٥١) والمسيحية نشأتها وتطورها (ص٥٦ ، ٥٧)

(٣) انظر : مشكلة اليهود العالمية : فؤاد شبل (ص٨٠ ، ٨١) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٠م ، وانظر الأمانات والاعتقادات لسعديا الفيومى .

(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه (ص ٦١ ، ٦٢) .

طريق الخطيئة، أما الكنائس النصرانية فهى قاذورات والواعظون فيه أشبه بالكلاب النابحة وقتل المسيحى من التعاليم المأمور بها [١] .

ويذكر التلمود عنه بأنه مجنون وهذا مطابق لما كان يعامله به " هيرودوس " ومعاصروه الذين وصفوه بأنه ساحر [٢] .

٣ـ محاولة عيسى ردهم إلى شريعة موسى التى انحرفوا عنها :

لقد تحولت شريعة موسى عليه السلام على أيدى اليهود إلى طقوس جامدة ليس فيها أدنى روح للتقوى ، فلما جاء المسيح عليه السلام بدعوته كشف انحرافاتهم ، إذ أن اليهود قد وصلوا إلى درجة لا يصل إليها أكابر المجرمين الطغاة من الانحراف خاصة رجال الدين منهم، فقد كانوا يشتغلون بالتجارة سرًا وأنشأوا حوانيت جانب الهيكل يبيعون فيها الحمام الذى تقضى الشريعة اليهودية تقديمه كقربان، وقد عمدوا إلى زيادة عدد المناسبات التى يتحتم على الشعب تقديم الحمام فيها فتضاعف بذلك مكاسبهم [٣] .

ولذلك نظر إليه القساوسة والطبقة الممتازة من اليهود بعين الحذر وكانوا يعدونه من أكثر الفوضويين خطورة وأضرهم بمصالحهم، وكان خطره فى نظرهم يتمثل فى دعوته التى من شأنها أن تثير فى نهاية الأمر بين مجموع الشعب حركة من تلك الحركات العنيفة الحمقاء التى يتشدد الرومان دائمًا فى قمعها، والتى تقلق أهل المعبد، كما كان خطره يتمثل فى أنه كان يحدث الطبقات الدنيا من الناس فى غير ما تحفظ بقصص ومقارنات لا يمكن أن يؤدى مغزاها إلا إلى إظهار عيوب طبقة رجال الدين وإضعاف مركزهم [٤] .

ثم كانت هناك فرق شتى من اليهود مثل الفريسيين والكتبة والصدوقيين الذين كانوا ينكرون البعث الأخروى ... كل هذه الفرق قد أحالت شريعة موسى إلى طقوس حرفية يقفون عند ألفاظها ولا ينفذون إلى لبها، فجاء المسيح وهاجمهم

---

(١) نقلاً عن قصة الديانات (ص٣٧٥).

(٢) من التلمود (ص٧٤) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٣) المجتمع اليهودى : زكى شنودة (ص٢٩٣ ، ٢٩٤) الناشر مكتبة الخانجي.

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها (ص٥٨).

وكشف رياءهم وحرصهم على الحياة ومتعها وسوف نعرض لنماذج من المحاورات بين عيسى وبين أحبار اليهود لنرى إلى أى مدى كان الصراع بين عيسى عليه السلام وبينهم..

عيسى يحاول من ناحية أن يردهم إلى شريعة التوراة الحقة وهم يحاولون بشتى الوسائل أن يحرجوا عيسى ويبينوا للشعب أنه يخالف شريعة موسى عليه السلام.

من ذلك مثلاً: أنهم كانوا لا يعملون يوم السبت وكانوا يمتنعون عن فعل الخيرات فيه، وكانوا يأخذون على عيسى العمل فى ذلك اليوم متهمين إياه بالخروج عن الشريعة.

ورد فى إنجيل متى "فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السبت بين الزروع فجاع التلاميذ وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون .. فالفريسيون لما نظروا قالوا له هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت، فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله ولا للذين معه بل للكهنة فقط، أو ما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء ولكن أقول لكم إن هاهنا أعظم من الهيكل، فلو علمتم ما هو أنى أريد رحمة لا ذبيحة لما حكمتم على الأبرياء فإن ابن الله هو رب السبت أيضًا"[1]، فهم قد اعترضوا على مجرد الأكل يوم السبت فأرجعهم إلى ما كان من أحد أنبيائهم وهو داود حين أكل من خبز الهيكل. ومعنى كلام المسيح إن صح أن الضرورات تبيح المحظورات إن فرضنا جدلاً أن الراحة يوم السبت من شريعة موسى.

وحدث أيضًا أنه أراد أن يشفى مريضًا يوم السبت فاعترض الفريسيون على الإبراء يوم السبت فوبخهم المسيح عليه السلام وكشف ما يفعلونه فى خاصة أنفسهم من العمل يوم السبت على الرغم من تظاهرهم بتحريم العمل فيه على غيرهم.

ورد فى إنجيل متى: ثم انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم وإذا إنسان يده يابسة فسألوه قائلين: هل يحل الإبراء فى السبوت لكى يشتكوا عليه؟ فقال لهم أى إنسان

---

(١) متى الإصحاح ١٢ : ٨/١.

منكم يكون له خروف واحد فإن سقط هذا فى السبت فى حفرة أفما يمسكه ويقيمه، فالإنسان كم هو أفضل من الخروف، إذًا يحل فعل الخير فى السبوت. ثم قال للإنسان مد يدك فمدها فعادت صحيحة كالأخرى فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه ليهلكوه[١].

من هذه النصوص نعلم أن محاولة عيسى عليه السلام رد اليهود إلى شريعة التوراة كانت تغيظهم وتجعلهم يتشاورون لقتله، فما بالنا بتكذيبه وعدم الإيمان به؟

وقد أورد إنجيل برنابا حوارًا بين أحد المتضلعين فى الشريعة اليهودية وبين عيسى عليه السلام، يرينا هذا الحوار إلى أى حد كان المسيح مصممًا على دعوة علمائهم إلى التمسك بجوهر الشريعة لا الوقوف عند ألفاظها.

وتوقفنا هذه المحاورة فى الوقت نفسه على مدى كراهية أحبار اليهود للمسيح عليه السلام، فقد كان رجال الدين ينظرون إليه على أنه جاهل يتطاول عليهم ويعتقد فى سذاجة أن الحكمة تحل محل العلم، وأن البصيرة من الممكن أن تغنى عن المنطق، إذ أنه كان يتحدث إليهم فى ثقة وقوة، لأنه كان يشعر بتأييد من الله فى نفسه ولم يكن ليعجبه منطقهم ولم يكن توثب عاطفته النظرية إلا ليتصادم مع تكبرهم المتشبث بالتدقيق إلى أقصى الحدود فى الأمور الدينية، فكان من الطبيعى أن تنشأ العداوة بين الطرفين[٢].

ورد فى إنجيل برنابا: "ودعا أحد المتضلعين من الشريعة يسوع للعشاء ليجربه فجاء يسوع إلى هناك مع تلاميذه وكثيرون من الكتبة انتظروه فى البيت ليجربوه، فجلس التلاميذ إلى المائدة دون أن يغسلوا أيديهم، فدعا الكتبة يسوع قائلين: لماذا لا يحفظ تلاميذك تقاليد شيوخنا بعدم غسل أيديهم قبل أن يأكلوا خبزًا؟

أجاب يسوع: وأنا أسألكم لأى سبب أبطلتم شريعة الله لتحفظوا تقاليدكم تقولون لأولاد الآباء الفقراء قدموا وأنذروا للهيكل، وهم إنما يجعلون نذورًا من

---

(١) متى ١٢ : ٩ - ١٤.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها (ص٥٧ ، ٨٥).

النذر الذى يجب أن يعولوا به آباءهم وإذا أحب آباؤهم أن يأخذوا نقودًا يصرخ الأبناء إن هذه النقود نذر الله فيصيب الآباء بسبب ذلك ضيق أيها الكتبة الكذَّابون المراءون أيستعمل الله هذه النقود؟

كلا ثم كلا، لأن الله لا يأكل كما يقول بواسطة عبده داود النبى هل آكل لحم الثيران وأشرب دم الغنم أعطنى ذبيحة الحمد وتقدم لى نذورك لأنى إن جعت لا أطلب منك شيئًا لأن كل الأشياء فى يدى وعندى وفرة الجنة .. أيها المراءون إنكم تفعلون ذلك لتملأوا كيسكم ولذلك تعشرون السذاب [١] والنعنع ما أشقاكم لأنكم تظهرون على عواتق الآخرين أحمالاً لا يطاق حملها، ولكنكم أنفسكم لا تحركونها بإحدى أصابعكم [٢].

والمحاورة تبين المسيح وهو مهتم بجوهر الأمور والكتبة مهتمون بغسل الأيدى قبل الطعام، وكانت مثل هذه المحاورات من الأسباب الرئيسة التى جعلت هناك تصادمًا بينهم وبين المسيح الذى شن حملة عنيفة على الكهنوت اليهودى الذى ادعى الحفاظ على الناموس بتمسكه فقط بالمظاهر والشكليات فاختنق بذلك المدخل الموصل إلى ملكوت السموات ألا وهو الأخذ بتعاليم الناموس نصًا وروحًا، تلك التعاليم التى بيَّن المسيح جوهرها وهو الحق والرحمة والإيمان [٣].

وكانت هناك محاولات من كل الفرق اليهودية لإحراج المسيح أمام تلاميذه، وإظهاره بمظهر الكاذب، ومن هذه المحاورات ما دار بينه وبين الصدوقيين [٤] الذين ينكرون الآخرة.

ورد فى متي: "فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامه فسألوه قائلين يا معلم قال موسى إن مات أحدُ وليس له أولاد ويتزوج أخوه بامرأته

---

(١) السذاب : جنس نباتات طبية من الفصيلة السذابية. المعجم الوسيط (١/٤٢٤).

(٢) إنجيل برنابا: الفصل الثانى والثلاثون ١٩/١. ترجمة الدكتور خليل سعادة. مكتبة ومطبعة صبيح.

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية (ص ١٩٣).

(٤) الصدوقيين نسبة إلى صادوق أو صدوقيا وهذا كاهن كان موجودًا فى عهد سيدنا سلميان وهذه الفرقة من اليهود لا تعترف إلا بأسفار موسى الخمسة وينكرون التعاليم الشفوية، ولا يعتقدون فى الآخرة. انظر: مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام (ص١٢٥).

ويقيم نسلاً لأخيه وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة وآخر الكل ماتت المرأة أيضًا ففى القيامة لمن من السبعة تكون الزوجة فإنها كانت للجميع؟ فأجاب يسوع وقال لهم تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء، وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ليس الله إله أموات بل إله أحياء فلما سمع الجموع بهتوا من تعاليمه"[١].

لقد فنَّد المسيح شبهتهم واعترافهم وإنكارهم للبعث وبيَّن أن سبب ضلالهم يرجع إلى أمرين:

الأول: جهلهم بما تحتويه كتبهم الدينية التى اعترفوا بها ويقصد بذلك الأسفار الخمسة، ثم أتى لهم بنص من الأسفار الخمسة: ليس الله إله أموات بل إله أحياء، ووجه دلالة المسيح بهذا النص أنه بالرغم من موت إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا أن الله عز وجل لم يقل أنا كنت إلههم لأن الله ليس إله أموات بل إله أحياء.

الثاني: أنهم لا يتصورون قوة الله وقدرته على جمع الأجزاء بعد تفرقها وإعادتها ثانيًا، ثم بيَّن لهم أنهم فى الآخرة لا يتزوجون لأن الزواج خاص بالدنيا لبقاء النسل أما فى الآخرة فلا حاجة إلى نسل فلا زواج[٢] كما يفسر النصارى.

كل هذه المحاورات كانت تهدف إلى إحراج السيد المسيح من وجهة نظر اليهود وكانت تظهر اليهود من جانب المسيح فى صورة الكذابين المرائين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويقولون ما لا يفعلون، فتنقل الأناجيل كثيرًا من الأوصاف القاسية التى رمى بها السيد المسيح علماء اليهود، فقد وصفهم بالأشرار، وأولاد الأفاعي، ورد فى متى: يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم"[٣]. وورد فيه أيضًا: "قلب هذا الشعب

---

(١) متى ٢٢ : ٢٣ ـ ٣٣.

(٢) انظر: الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل (١/ ٣٧٩) هكذا يعتقد النصارى أنه لا زواج فى الآخرة. وقد أثبتنا من خلال نصوص الأناجيل أن هناك زواجًا وطعامًا وشرابًا وسائر المتع الحسية فى الجنة. انظر رسالة اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام للباحث.

(٣) متى ١٢ ـ ٢٥ وانظر متى ١٢ ـ ٣٩.

قد غلظ وأذانهم قد ثقل سماعهم وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم[١].

وقد امتلأ إصحاح كامل فى إنجيل متى من أوله لآخره بكل الصفات السيئة، فقد وصفهم بأكل أموال الأرامل ووصفهم بالجهل والعمى الرياء وأنهم أبناء قتلة الأنبياء وبالحيات ووصف مدينتهم المقدسة بأنها قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين[٢]، وكان كلامه موجهًا إلى الكتبة والفريسيين أبرز فرق اليهود، والذى يحلل نصوص هذا الإصحاح وغيره من الفقرات التى دار فيها حوار بين المسيح وبين علماء اليهود، يجد أن هناك نزاعًا مستمرًا كان يسود العلاقة بينهما[٣].

وكان طبيعيًا بعد أن يسمع العلماء اليهود هذا الهجوم المتواصل من المسيح أن يكذبوه وينكروا دعوته، بل ويهموا بقتله، يقول برنابا: "أما الكتبة والكهنة فلما أدركوا أنه ندَّد بتقاليد شيوخهم اضطرموا ببغضاء أشد وقسوا قلوبهم نظير فرعون ولذلك طلبوا فرصة ليقتلوه ولكنهم لم يجدوها"[٤].

٤ـ الموطن الذى نشأ فيه المسيح:

من الأسباب التى جعلت اليهود يرفضون نبوة عيسى ودعوته الموطن الذى نشأ فيه، وذلك لأن اليهود عنصريون يعتقدون أنهم شعب الله المختار، ولذلك نظروا إلى غيرهم نظرة احتقار وازدراء.

وقد نظروا إلى المسيح تلك النظرة واحتقروه واحتقروا الموطن الذى نشأ فيه وبدأ منه الدعوة..

ورد فى يوحنا: "فى الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد "فيلبس" فقال له اتبعنى وكان "فيلبس" من بيت صيدا من مدينة "أندراوس" و "بطرس" "فيلبس" وجد

---

(١) متى ١٣ ـ ١٦.

(٢) انظر: متى الإصحاح ١٣ بأكمله، ففى كل فقرة من فقراته التى بلغت تسعًا وثلاثين صفة من الصفات السيئة التى يتصف بها اليهود على لسان المسيح.

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها (ص ٥٨).

(٤) متى ١٢ ـ ٢٥ وانظر متى ١٢ ـ ٣٩.

"نثنائيل" وقال له وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء "يسوع بن يوسف" الذى من الناصرة فقال نثنائيل أمن الناصرة يمكن أن يأتى شيء صالح؟ [١].

فما كان اليهود يتصورون أن يأتى المسيح من الجليل لأنهم كانوا ينظرون إليهم نظرة احتقار وكانوا يصفونهم بالمروق من الدين وكان المثل الشائع عندهم أن أهل الجليل متميزون بالعناد وصلابة الرأى وكانوا يسخرون من لهجتهم الريفية" [٢].

ادعاء اليهود قتل المسيح عليه السلام:

لقد ادعى اليهود أنهم قتلوا المسيح عليه السلام وصدَّقهم النصارى فى ذلك وقد عرض القرآن الكريم ما دبره اليهود عليه السلام ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [٣]. أى لما مكر الذين أحس عيسى منهم الكفر من اليهود فحاولوا قتله أبطل الله مكرهم فلم ينجحوا فيه وذلك لأن عيسى لما أخرجه قومه وأمه من بين أظهرهم عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطئوا على الفتك به فذلك مكرهم الذى مكروه [٤].

ويصور القرآن تبجحهم وادعائهم قتل المسيح فى قوله ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [٥].

وقولهم رسول الله على الرغم من عدم اعترافهم به يأتي:

إما على سبيل السخرية والاستهزاء كقول فرعون ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٦]، وكقول أهل مكة ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٧].

---

(١) يوحنا ١ : ٤٣ ـ ٤٦.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها (ص ٤٧).

(٣) سورة آل عمران الآية (٥٤).

(٤) القرطبى (٤/٩٨) والمنار (٣/٢٥٩).

(٥) سورة النساء الآية (١٥٥ ـ ١٥٨).

(٦) سورة الشعراء الآية (٢٧).

(٧) سورة الحجر الآية (٦).

وإما أن يراد برسول الله: أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعًا لعيسى عليه السلام عما يذكرونه به لما أرادوا بمثله كقوله ﴿ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١].

والنصارى يعتقدون أن اليهود قتلوا عيسى عليه السلام يقينًا، واليهود يفتخرون أنهم قتلوه وصلبوه لأنه ادعى نسخ التوراة بعد أن ادعى النبوة ولم يقم عليها شاهد[٢].

وقد ورد فى التلمود بعض النصوص التى تفيد افتخار اليهود بقتل المسيح، من ذلك ما ورد فى التلمود فى إحدى طبعات إمستردام لسنة ١٦٤٥" قبل صلب المسيح أعلن فى المدينة عن طريق النداء العام أن يحضر الذين يريدون الشهادة ببراءة المسيح ولكن أحدًا لم يتقدم، ويذكر التلمود أن المسيح عليه السلام رمى بالأحجار ثم صُلب مساء عيد الفصح"[٣].

تكذيب اليهود فى ادعائهم قتل المسيح:

لقد كذب الله اليهود فى ادعائهم قتل المسيح عليه السلام ونفى قتله أو صلبه لا من اليهود ولا من غيرهم، يقول تعالى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾[٤]. فقد نجى الله عيسى من القتل وألقى عليه شبه رجل غيره.

وقد رُوى أن رهطًا من اليهود سبوا عيسى عليه السلام وأمه فدعا عليهم فمسخوا قردة وخنازير، فبلغ ذلك يهوذا رأس اليهود فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فساروا إليه ليقتلوه فأدخله جبريل عليه السلام بيتًا ورفعه منه إلى السماء ولم يشعروا بذلك فدخل "طيطانوس" ليقتله فلم يجده وأبطأ عليهم، وألقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام عليه، فلما خرج قتلوه وصلبوه .. هذا ما أورده الألوسى فى تفسيره[٥]. مع آراء كثيرة.

---

(١) سورة الزخرف الآية (٩). وانظر الكشاف (٥٧٩/١).

(٢) انظر الأعلام للقرطبى (ص٤١٢) والتصريح بما تواتر فى نزول المسيح.

(٣) نقلاً عن التلمود وتاريخه وتعاليمه (ص٦٢).

(٤) سورة النساء الآية (١٥٧).

(٥) روح المعانى (١٠/٦).

وبعض المفسرين يذهب إلى أن عيسى عليه السلام لما همَّ اليهود بقتله كان مع عيسى عشرة من أصحابه فقال لهم من يشترى الجنة بأن يُلقى عليه شبهي؟ فقال واحد منهم أنا، فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فأخرج وقتل ورفع[1]. عيسى عليه السلام إلى السماء حيًا.

---

(١) اختلف العلماء فى قضية رفع المسيح ونزوله إلى الأرض قبل قيام الساعة. واستدلوا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فالآيات القرآنية مثل وقوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية : ٥٥

ومثل قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ سورة النساء الآية : ١٥٩. وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ سورة الزخرف الآية : ٦١، ويستدلون بأحاديث وردت فى البخارى ومسلم وكتب السنة بلغت حوالى ستًا وسبعين حديثًا أوردها الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى الهندى فى كتابه "التصريح بما تواتر فى نزول المسيح" وهذه الأحاديث قال عنها الحافظ ابن كثير : إنها بلغت حد التواتر منها ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها".

ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾سورة النساء آية : ١٥٩،

وانظر التصريح بما تواتر فى نزول المسيح (ص٩١ ت ٩٣).

وذهب فريق آخر من العلماء: إلى أن المسيح عليه السلام مات كما يموت سائر البشر ولم يرفع بجسده على السماء وإنما رفعت روحه .. أما أحاديث الرفع والنزول فلها تخريجان: = أحدهما : أنها أحاديث آحاد تتعلق بأمر اعتقادى والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي.

ثانيهما: تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه ورسالته على الناس. تفسير المنار (٢٦/٣ ـ ٢٦١). وهذا ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده ولكن تلميذه الشيخ رشيد رضا ردَّ رأى الشيخ محمد عبده قائلاً: (ما قاله الأستاذ الأمام فى الدرس ظواهر الأحاديث الواردة فى ذلك تأباها) المنار (٢٦/٣ ـ ٢٦١). ورأى الشيخ رشيد رضا هو الأقرب إلى الحق وإلى روح السنة خاصة بعد الأحاديث التى جمعها الشيخ الكشميرى وقال عنها ابن كثير إنها بلغت حد التواتر، . ولكن أحد العلماء المحدثين يعرض رأى الشيخ شلتوت القائل بعدم نزول المسيح فى آخر الزمان وعدم رفعه أصلاً إلى السماء، ثم يعلق عليه قائلاً: (ورأى الشيخ شلتوت يمثل الاتجاه العقلى فى فهم قضية النزول وهذا الاتجاه فيما أظن أقرب إلى روح الإسلام وأكثر تمشيًا مع طبيعته =

ورأى آخر يذهب إلى أن رجلاً منافقًا أراد أن يدل اليهود على عيسى عليه السلام وبالفعل أخذهم ليدلهم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى[1].

وعلى كل الوجوه ومع اختلاف الروايات فى تحديد شخصية المقتول فإن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب وإنما ألقى شبهه على رجل آخر سواء أكان من حوارى عيسى عليه السلام أم كان من المنافقين أم من الجنود الذين دخلوا عليه لقتله عليه السلام.

أما قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾[2].

فالذين اختلفوا فيه إما أن يكونوا من النصارى وهؤلاء على ثلاث فرق: ففرقة منهم ذهبت إلى أن المسيح صُلب ولكن الصلب كان من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ولذلك لا يرون فى قتله أى مهانة أو ذلة.

وفرقة ذهبت إلى أن القتل والصلب وصلا إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا بالمباشرة.

والفرقة الثالثة: ذهبت إلى أن القتل والصلب وقعا بالمسيح الذى هو جوهر متولد من جوهرين، وقد أقر مجمع نيقية صلب المسيح وقتله[3].

= وما أحوجنا إلى هذه الرؤية العقلية فى فهم العقائد الدينية على وجه الخصوص) قصة الأديان (ص٢٣٦) للدكتور رفقى زاهر، وانظر: تعليق الدكتور أحمد حجازى السقا فى إظهار الحق (ص٥١٢).
ولا أدرى أى قرب إلى روح الإسلام فى ردّ قضية رفع المسيح ونزوله وأيهما أسلم وأحكم أن نتمسك بالنصوص التى بلغت حد التواتر أو نعمل العقل فى تأويلها؟ ثم هل الحاجة إلى إعمال العقل فى العقائد؟ أو فيما لا نص فيه؟ إن الأولى أن نعمل العقل فى المسائل الاجتهادية، لأن فتح باب العقل فى الأمور العقائدية أمر يثير الغرابة حقًا لأنه سيجعل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية خاضعة لرؤية العقل وقبوله أو رفضه. وهذا يختلف باختلاف من يعمل عقله حسب هواه، وفى ذلك فتنة ما بعدها فتنة ذاق المسلمون ويلاتها قديما ثم هاهم حديثًا يعودون إليها.

(١) الكشاف للزمخشرى (١/٥٧٩، ٥٨٠).

(٢) سورة النساء الآية (١٥٧).

(٣) انظر: الرازى (١١/١٠٠، ١٠١) والألوسى (٦/١٠، ١١) والملل والنحل للشهرستانى (ص٥٠ ـ ٥٢) بهامش الفصل لابن حزم.

وإما أن يكون الذين اختلفوا فيه من اليهود وذلك لأنهم لما هموا بقتل المسيح عليه السلام قالوا إن كان المسيح قد قُتل فأين صاحبنا؟ وإن كان صاحبنا الذى قُتل فأين المسيح؟ وقولهم هذا جعلهم فى شك من الأمر ولذلك كذب الله اليهود والنصارى فى ادعائهم واعتقادهم قتل المسيح،

ويعتبر القرطبى تصديق النصارى لليهود فى تلك المسألة من حماقات النصارى وجهلهم، إذ كان من المفروض عليهم أن يكذبوا اليهود كما كذَّبوهم فى مسائل كثيرة،

اليهود والنصارى ليس عندهم خبر يقينى فى قتل المسيح وصلبه:

مما يؤكد أن المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب أن اليهود ليس عندهم فى كتبهم ما يفيد ذلك ولا يوجد فى تاريخهم الدينى شيئًا من هذا، فإذا تكلم اليهود عن المسيح وقتله فليس ذلك لأنه مثبت فى تواريخهم المأثورة عن الأحبار والآباء، ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله المسيحيون من أن المسيح جاء وقتله اليهود.

يقول صاحب الفارق بين المخلوق والخالق: "فأما اليهود فلا إجماع عندهم ألبتة وهذه كتبهم موجودة بين أيدينا فلم نجد فيها شيئًا يوافق ما تحكيه النصارى عنهم"[(١)].

ولكن الشيخ "عبد الوهاب النجار" يذكر أن: الدكتور "إسرائيل ولفستون "أخبره أن مسألة قتل المسيح موجودة فى التلمود ولكن اليهود أخرجوها منه حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم التى يقيم بينهم اليهود[(٢)]. فيكون ذلك مصدر قلاقل" [(٣)]. وقد يكون هذا صحيحًا لأن النصوص المتناثرة التى عثر عليها العلماء تشير إشارات خاطفة إلى ذلك، وإن كان ذلك غير موجود منذ زمن طويل أى منذ القرن السادس

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٢٨٠ ، ٢٨١)، الأعلام (ص٤١٦).

(٢) ومن العجيب بحق أن اليهود قاموا بمجهود ضخم وعثروا على وثائق وقدموها إلى المجمع المسكونى تثبت أنهم لم يقتلوا المسيح حرصًا منهم على كسب الرأى ضد الإسلام، بينما كان اليهود يفعلون ذلك كان الإعلام الإسلامى يحرص على مناهضة هذا الاتجاه ويؤكد ما يردده النصارى من أن اليهود هم الذين قتلوا المسيح عليه السلام ، وهكذا يضحى رجال السياسة بحقائق دينهم وقرآنهم للحيلولة دون حصول اليهود على مزيد من التأييد عند النصارى. انظر: قصة الأديان (ص٢٣٠).

(٣) قصص الأنبياء للنجار (ص٥١٣، ٥١٢).

الهجري، لأن القرطبى أشار إلى إخفاء اليهود لمسألة قتل المسيح، والقرطبى توفى سنة ٦٧١ هـ. وكون قتل المسيح لم يُجمع عليه من اليهود أو يعرفه أحبارهم ولا يعرفه عامتهم يؤكده قول الله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ﴾[1].

أما أن النصارى لا علم لهم بذلك، فإن علماء مقارنة الأديان قد درسوا مسألة قتل المسيح وصلبه كما يزعم اليهود، وكما تعتقد النصارى وانتهوا إلى أن:

١ - أن صلب المسيح دعوى لا دليل عليها لأن كتب اليهود والنصارى لا يصح الاستدلال بها فى تعيين ذات المصلوب لوجود الاختلاف بين اليهود والنصارى فى ذلك حول الصلب ووقته ومكانه وهذا دليل على أنهم فى شك من ذلك كما أخبر القرآن الكريم[2].

٢ - أن النصارى إذا استدلوا على الأناجيل فى دعواهم، فإن الإناجيل لم تخلُ من التحريف والتبديل، ولم تنقل بسند متواتر، ولو سلمنا أن الأناجيل نقلت متواترة فإن الاختلاف بين رواياتها يبين أنها لم تنص على أن المصلوب هو المسيح بعينه بل هى محتملة أن يكون هو أو غيره[3].

٣ - أن روايات الأناجيل حول قضيتى الصلب والقيامة تعتبر من المشاكل المعقدة جدًا فى الأناجيل، والتى تكفى بمفردها لأن تنفى عن الأناجيل أدنى قدسية، وانتهت مجموعة الأبحاث الغربية الحديثة فى علم مقارنة الأديان إلى أن روايات الصلب تعتبر بحق مجموعة المشاكل التى تحتويها الأناجيل[4].

٤ - أن عقيدة الصلب والفداء عقيدة وثنية انتقلت إلى المسيحية عن طريق الأمم الوثنية وبالذات عن طريق بولس الذى أفسد المسيحية بما أدخله من زيادات عليها وعلى رأسها صلب المسيح وقيامته[5].

---

(١) سورة النساء الآية (١٥٧).

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٢٤٨ - ٢٥٠)، (ص٢٨٢ - ٢٩٨).

(٣) الإعلام بما فى دين النصارى من أوهام (ص٤١٢) وما بعدها.

(٤) انظر: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية (ص٢٨٢) وانظر ص (١٩٠- ٢٨٢) وانظر الأسفار المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة (ص١١٧ ت ١٢٥).

(٥) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها (ص٨٨ ت ١٠٨))، وقصص الأنبياء للنجار (ص٥١٤ ت ٥١٦).

إن بولس قد تبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر وروج لها فى رسائله، تلك الرسائل التى لم تكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من ٢٠ عامًا، فلقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على ألا يعرف من المسيحية شيئًا غيرها[١]. يقول: "إنى لم أعزم أن أعرف شيئًا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبًا"[٢].

٥ - من الممكن أن يقول قائل إن اليهود والنصارى معذورون فى اعتقادهم قتل المسيح وصلبه، لأن القرآن الكريم ذكر أنه شبه لهم.

نقول:

إن عذرهم ممكن أن يقبل قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، أما بعد بعثته فإن العذر يزول عنهم، لأن القرآن الكريم جاء بالحق فى هذه المسألة، وهم مطالبون أن يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ويصدقوا بالقرآن الكريم.

---

(١) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية (ص١٩١ ـ ١٩٢).

(٢) رسالة كورنثوس الأولى ٢/٢،

المبحث الثاني
إنكار اليهود والنصارى لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وضوح الحق لدى أهل الكتاب فى شأن محمد:

إن المتتبع لأخبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم يرى أنهم كانوا ينتظرون مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، بل إن منهم من ترك وطنه على ما فيه من خصب ونماء ورحل إلى جزيرة العرب ليكون على مقربة من المدينة المنورة التى علموا أن فيها هجرته وتفصيل ذلك كالآتي:

أولا: اليهود وترقبهم بعثة النبى صلى الله عليه وسلم:

روى ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال: قال لى هل تدرى عمَّ كان إسلام ثعلبة بن سُعيَّة وأسد بن سُعية وأسد ابن عبيد نفر من بنى هذل أخو بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام. قال: قلت لا؟ قال: فإن رجلاً من يهود من أهل الشام يقال له: ابن الهيبان قَدِمَ علينا قبيل الإسلام بسنين فحل بين أظهرنا لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلى الخمس أفضل منه فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن "الهيبان" فاستسق لنا فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة فنقول له: كم؟ فيقول: صاعًا من تمر أو مدين من شعير. قال: فنخرجها، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستقى الله لنا فو الله ما يبرح محله حتى تمر السحابة ونُسقي، قد فعل ذلك غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاث قال: ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الحمر والخير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: إنك أعلم قال: فإنى إنما قدمت هذه البلدة أَتَوَكَف خروج نبى قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره فكنت أرجو أن يُبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تُسبقن إليه يا معشر اليهود فإنه يُبعث بسفك الدماء، وسبى الذراى، والدماء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شبابًا أحداثًا: يا بنى قريظة والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان، قالوا: ليس به، قالوا: بلى والله إنه لهو بصفته، فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم [١].

فهذا النص يبين إلى أى مدى كان رسول الله معروفًا قبل بعثته إلى الحد الذى يترك ابن الهيبان وطنه وأهله وهى بلاد مليئة بالخير كما يقول ويأتى إلى بلاد جرداء لا يحمله على ذلك إلا رجاء أن يكون قريبًا من البلد التى سيهاجر إليها النبى صلى الله عليه وسلم، بل إن اليهود كانوا يستنصرون بالنبى صلى الله عليه وسلم إذا تقاتلوا مع المشركين الذين لا كتاب لهم ولا علم عندهم.

فقد روى ابن هشام عن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لما كنا نسمع من رجال يهود. كنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا إنه تقارب زمان نبى يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم. فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كان يتوعدوننا فبادرناهم إليه فآمنا به، وكفروا به ففينا وفيهم نزلت تلك الآيات من سورة البقرة ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [٢].

وفى رواية أخرى أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه قال لهم "معاذ بن جبل" و "بشر بن البراء" و "داود بن سلمة": يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢١٩، ٢٢٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٨٩) وانظر سيرة ابن هشام (١/ ٢١٨)، ولباب المنقول فى أسباب النزول (١٢، ١٣).

بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال "سلام بن مشكم" أحد بنى النضير: ما جاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذى كنا نذكر لكم" [١]. فأنزل الله ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾

وهناك كثير من الروايات[٢]. أوردها كُتاب السيَّر عن معرفة اليهود بالنبى وانتظارهم له وكفانا يقينًا إخبار القرآن الكريم عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنهم كانوا يعرفون الرسول كما يعرفون أبناءهم.

يقول تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [٣].

ويقول عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [٤].

ويقول أستاذنا الدكتور / عبد الله الشاذلى :

" واللفظتان ليستا مترادفتين تمام المرادفة ولا يطلقان على جهة واحدة بل تنصرف كلمة العلم إلى الحق الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ومنبع هذا العلم هو الأخبار المقدسة وحدها ، وتطلق لفظ المعرفة على النبى وصفاته ومصدر المعرفة يرد عن طريق الوحى الحق ويرد عن طريق الرؤية والملاحظة المستمرة والتأكد من مطابقة الصفات المبثوثة فى التوراة والإنجيل على ذات النبى صلوات الله وسلامه عليه وحده "[٥].

وهذا العلم وتلك المعرفة هما ما جعلا " عبد الله بن سلام " يقول لعمر بن الخطاب حين سأله أتعرف محمداً صلى الله عليه وسلم كما تعرف ابنك ؟ فقال : نعم وأكثر بعث الله أمينه فى سمائه إلى أرضه بنعته فعرفته ، وابنى لا أدرى ما كان من أمه .

ويعلق القرطبى على قوله تعالى ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢١٨/١) ولباب المنقول فى أسباب النزول ص (١٢ ، ١٣).

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢١٩/١ ، ٢٢٠).

(٣) سورة البقرة الآية (١٤٦)،

(٤) سورة الأنعام الآية (٢٠)

(٥) الدعوة والإنسان ص (٤١٥) .

بقوله: " وخص الأبناء بالمعرفة بالذكر دون الأنفس وإن كانت ألصق لأن الإنسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه "(١)

وهو ملحظ دقيق من الإمام القرطبى .

وقد نشط علماء مقارنة الأديان فاستخرجوا البشارات التى وردت فى العهد القديم ، والتى تُعلم اليهود بصفات محمد صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه وتعالي﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٢).

أى باسمه ونعوته الشريفة بحيث لا يشكون أنه هو ، ولذلك عدل عن أن يقال : يجدون اسمه أو وصفه مكتوباً وجاء بلفظة عندهم لزيادة التقرير وأن شأنه عليه الصلاة والسلام حاضرة عندهم لا يغيب أصلاً (٣).

فقد ورد فى سفر التثنية ما نصه :

" يقيم لك الرب إلهك نبياً ومن وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب فى حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فيه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به ، والذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى . وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو كالكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه "(٤)

---

(١) القرطبى (٢ /١٦٢ ، ١٦٣) و الجلالين ص (٢٠) .

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٧) .

(٣) روح المعانى للآلوسى (٩/ ٨٠) .

(٤) سفر التثنية ١٨ - ١٥

وهذا النص يدعى النصارى البروتستانت أنه بشارة بعيسى عليه السلام ويدعى اليهود أنه بشارة بيشوع ، ليس الأمر كما يزعمون وإنما هو بشارة بالرسول صلى الله عليه وسلم من عشرة وجوه [١] هى :

الأول : أن اليهود المعاصرين لعيسى كانوا ينتظرون نبياً آخر مبشراً به غير عيسى ومن ثمَّ فلا يكون المبشر به يُشوع " ولا عيسى عليهما السلام .

الثانى : أنه وقع فى هذه البشارة " مثلك " ويشوع " وعيسى " عليهما السلام لا يصح أن يكونا مثل موسى عليه ا لسلام للآتى :

أ ـ لأنهما من بنى إسرائيل ولا يجوز أن يقوم أحد من بنى إسرائيل مثل موسى وهذا ما يدل عليه ما ورد فى سفر التثنية " ولم يقم بعد بنى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه " [٢] فإن قام أحد فى بنى إسرائيل مثل موسى يلزم تكذيب ذلك النص .

ب ـ أنه لا مماثلة بين " يشوع " وبين "موسى" عليهما السلام ، لأن موسى صاحب كتاب وشريعة "ويشوع" ليس معه كتاب وشريعة ، بل هو متبع لشريعة موسى عليه السلام . كما لا توجد مماثلة بين موسى وعيسى لأن عيسى كان إلهاً ورباً على زعم النصارى ، وأن موسى كان عبداً له ، كما أن عيسى عليه السلام صُلب من أجل أمته ، كما يزعم النصارى ، وموسى لم يُصلب من أجل أمته ، وأن شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل و الطهارات والمحرمات بخلاف شريعة عيسى فإنها لا شيء فيها من ذلك ثم إن موسى كان رئيساً مطاعاً فى قومه وعيسى ما كان كذلك

الثالث : أن هذه البشارة فيها لفظ "من بين إخوتهم" ولاشك أن الأسباط الإثني عشر كانوا موجودين فى ذلك الوقت مع موسى عليه السلام حاضرين عنده فلو كان المبشر به منهم لقال "منهم" لا من بين إخوتهم "ويشوع" وعيسى عليهما السلام كانا من بنى إسرائيل فلا تصدق هذه البشارة عليهما .

---

(١) إظهار الحق (٥٠٨).

(٢) سفر التثنية (٣٤ - ١٠) .

الرابع : أنه وقع فى هذه البشارة لفظ"سوف أقيم" ويشوع" كان حاضراً عند موسى عليه السلام داخلاً فى بنى إسرائيل نبياً فى هذا الوقت ، فكيف يصدق عليه هذا اللفظ ؟

الخامس : أنه ورد فى هذه البشارة لفظ "أجعل كلامى فى فمه" وهو إشارة إلى النبى عليه الصلاة والسلام الذى سينزل عليه القرآن وإلى أنه سيكون أميا وهذا لا يصدق على يشوع لانتفاء كلا الأمرين فيه

السادس : أنه قد ورد فى هذه البشارة "ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك" وهذا الانتقام ليس مقصوداً منه العذاب الأخروى ، لأن كل الأنبياء سيعذب مخالفيهم فى جهنم ولكن الانتقام يراد به الانتقام التشريعى ، فظهر بهذا الكلام أن المبشر به يكون مأموراً من جانب الله بالانتقام من منكره ، وعيسى ليست لديه شريعة فيها أحكام الحدود والقصاص والجهاد .

السابع :أنه صرح فى هذه البشارة بأن النبى الذى ينسب إلى الله ما لم يأمره به يقتل فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم نبياً حقاً لكان قد قتل ، ومحمد لم يقتل ولم يقدر عليه أحد حتى لحق بالرفيق الأعلى ، وعيسى قُتل وصُلب على زعم اليهود والنصارى ، فلو كان هو المقصود بتلك البشارة للزم أن يكون نبياً كاذباً كما يقول اليهود عليهم اللعنة .

الثامن :أن الله بيَّن علامة النبى الكاذب أن تكون أخباره عن الغيب ليست صادقة . والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن أمور غيبية ووقعت كما أخبر صلى الله عليه وسلم فيكون صادقاً .

التاسع :أن بطرس قال "فتوبوا" وارجعوا لتمحى خطاياكم لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب ويرسل يسوع المبشر به لكم قبل الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر[١] ومن تأمل عبارة بطرس ظهر له أن هذا القول يكفى لإبطال الزعم أن هذه البشارة فى حق عيسى عليه السلام .

---

(١) أعمال الرسل ٣ - ٢٠ : ٢٢

العاشر :أن علماء اليهود منهم من أسلم اعترافاً بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكونه مبشراً به فى التوراة [١] .

ثانيًا: ترقب بعض النصارى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم:

إذا كنا قد أثبتنا من خلال الروايات المتعددة أن اليهود كان عندهم علم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم فإن النصارى أيضًا كانوا يعرفون صفاته صلى الله عليه وسلم، ولكن لابد وأن نسجل بداية أن عداوة النصارى للرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن كعداوة اليهود، فالنصارى فى الجزيرة العربية على الأقل لم يدخلوا فى صراع حاد مع الإسلام والمسلمين كما فعل اليهود.

وهم إن خالفوا الإسلام فى عقائده ولم يدخلوا فيه إلا أنهم فى الوقت نفسه كانوا أقل صياحًا من اليهود وأقل حقدًا على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم قد اعترفوا بداية بأن محمدًا على الحق وأنه النبى المنتظر الذى بشر به عيسى وموسى عليهما السلام، ووردت روايات متعددة تفيد معرفة النصارى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، نذكر من النصارى الذين بشروا بالنبى صلى الله عليه وسلم:

(١) ورقة بن نوفل: وكان شيخًا نصرانيًا يقيم فى مكة عنده علم الكتاب وقد أخبرته خديجة بما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم فى غار حراء فأخبرها أنه النبى المنتظر.

ويذكر ابن إسحاق أن النبى أخبره أيضًا.. يقول ابن إسحاق: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حواره وانصرف صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت. فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة،ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه [٢] ولئن أدركتُ ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه ثم

(١) انظر : إظهار الحق لرحمت الله الهندى ص (٥٠٨ -٥١٣) بتصرف وانظر تعليق الدكتور احمد حجازى السقا على كلام بطرس ص (٥١١).

(٢) الهاءات الأربعة للسكت وليست ضمائر.

أدنى رأسه منه فَقَبَلَ يافوخه[١] ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله" [٢]

"فورقة بن نوفل" من داخل الجزيرة العربية يبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن صفاته كان قد عرفها من التوراة والإنجيل.

(٢) ونأتى إلى رجل آخر من خارج الجزيرة العربية ظل متنقلاً من مكان إلى مكان باحثًا عن الحق إلى أن دله بعض النصارى عليه صلى الله عليه وسلم، هذا الرجل هو "سلمان الفارسي" ذلك أنه ترك دين آبائه من عَبَدَةِ النار، وظل ينتقل من مكان إلى مكان حتى انتهى به المطاف إلى نصرانى دله على الجزيرة العربية التى سيبعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن هشام "فلما مات رغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبرى فقال أقم عندى فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم قال: واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنمة، قال: ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له: يا فلان إنى كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان ثم أوصى بى إلى فلان ثم أوصى بى فلان إليك فإلى من توصى بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أى بنى والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبى وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل"[٣].

وهذا يدل على أن معرفة النصارى بالنبى صلى الله عليه وسلم كانت مؤكدة وكانت معروفة بالتفاصيل الجزئية، البلد التى يبعث فيها، والبلد التى يهاجر إليها، وأشياء شخصية تمثلت فى قبوله الهدية ورفضه الصدقة، وأشياء خلقية منها خاتم النبوة بين كتفيه.

---

(١) اليافوخ: وسط الرأس

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٦ ، ٢٤٧).

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٢٢٣).

وقد اجتهد علماء الإسلام وأوضحوا تلك البشارات[١] ، ومن تلك البشارات ما ورد فى يوحنا" إن كنتم بعدى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب منكم مُعَزًّى آخر ليمكث معكم إلى الأبد" [٢] تعنى الفار قليط الذى يعنى كثير الحمد.

ومن العجيب أن الترجمات العربية القديمة للأناجيل كانت تذكر كلمة "الفار قليط" ، ولدق أضاف النصارى تحريفًا جديدًا يضم إلى التحريفات السابقة، انظر على سبيل المثال الترجمة العربية المطبوعة ١٨٢١ م، ١٨٣١م، ١٨٤٤م فى لندن والتى كان ينقل منها صاحب إظهار الحق [٣]

وقارن بين هذه الطبعات وبين طبعة الكتاب المقدس لعام ١٩٨٧م فإن كل الألفاظ التى فيها الفارقليط فى طبعات لندن أُثبت بدلاً من تلك الألفاظ كلمة "المُعَزَّى" وكلمة "المُعزِّى" لا تعبر بالضبط عن البشارة باسم النبى كما تعبر كلمة "الفارقليط".

يقول الشيخ "النجار" : إنه جمعته رابطة صداقة بالمستشرق الإيطالي "كارلونلينو" وفى ذات ليلة يقول: "قلت له وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراة فى آداب اللغة اليونانية القديمة ما معنى "بيريكلتوس "أجابنى بقوله: إن القسس يقولون أن هذه الكلمة معناها "المُعَزِى" فقلت (الشيخ النجار) إنى أسأل الدكتور "كارلونيلنو" ولست أسأل قسيسًا فقال: معناها الذى له حمد كثير. فقلت : هل يوافق أفعل التفضيل من حمد؟ قال : نعم. فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسمائه أحمد، فقال: يا أخى أنت تحفظ كثيرًا، ثم افترقنا وقد ازددت تثبتًا فى معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد[٤] وإن كان المفروض أن يزداد الإنسان تثبتًا وثقة كلما قرأ القرآن، لا كلما سمع شيئًا من أهل الكتاب الذين قد يكذبون أو يصدقون.

---

(١) منها يوحنا ١٤ ـ ١٥/١٨ ١٦ - ١٧، -٦٥ -٦٣: ٢٧، ١٦ - ١، حتى ١١ ، ١٤ ، ١٥ وغيرها كثير.

(٢) يوحنا ١٤ – ١٧ : ١٥.

(٣) إظهار الحق ص (٥٣٨، ٥٣٩) تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا ، دار التراث العربي، وانظر: هداية للجبارى ص (١١٦) وما بعدها، وانظر للأهمية كتاب اللواء أحمد عبد الوهاب: اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس. فقد أورد نماذج للاختلافات بين الترجمات المختلفة للكتاب المقدس وهى من وجهة نظرنا تنفى أدنى قدسية عن العهدين القديم والجديد وتجعلنا نزداد ثقة بأن التحريف عند النصارى لم يتوقف أبدًا.

(٤) سورة الصف الآية (٦) وانظر قصص الأنبياء هامش ص (٤٧٣).

وقد أورد علماء مقارنة الأديان قديمًا وحديثًا بشارات الإنجيل برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأورد صاحب إظهار الحق منها كثيرًا نكتفى منها بواحدة فقط.

ونظرًا لأن ترجمات العهدين الجديد والقديم قد تغيرتا كثيرًا عن النسخة التى ينقل منها "رحمت الله الهندي" فإننا سنعتمد على نقله مشيرين إلى النسخة المترجمة التى كان ينقل عنها.

يقول: "نقل "يهوذا" الحوارى فى رسالته الخبر الذى تكلم به "أخنوخ" الرسول الذى كان سابعًا من آدم عليه السلام ومن عروجه إلى ميلاد المسيح ثلاثة آلاف وسبع عشرة سنة على زعم مؤرخهم وأنا أنقل عبارته من الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ م يقول"الرب قد جاء فى ربواته المقدسة ليدائن الجميع ويبكت الجميع المنافقين على كل أعمال نفاقهم التى نافقوا فيها وعلى كل الكلام الصعب الذى تكلم به ضد الله الخطاة المنافقون".

وينبه صاحب إظهار الحق قبل استخراج البشارة من النص السابق على معانى كلمات (رب ـ قديس، ومقدس) فى الأسفار المقدسة فالرب يشيع استعماله فى معنى المعلم والمخدوم ولفظ القديس والمقدس يطلق فى العهدين إطلاقًا شائعًا.

وبعد أن يأتى بشاهد من العهد الجديد على استخدام هذه الألفاظ يقول: "إن المراد بالرب هنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبالربوات المقدسة الصحابة، والتعبير عن مجيئه (بقد) جاء لكونه أمرًا يقينيًا، ولقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم فى ربواته المقدسة فَدَانَ الكفار وبكّت المنافقين والخطاة على أعمال النفاق وعلى أقوالهم القبيحة فى الله ورسله"[١].

وهناك بشارة واضحة ومشهورة يستدل بها كل علماء مقارنة الأديان تقريبًا على البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهى وإن كانت واردة فى العهد القديم إلا أنها حجة على النصارى، لأن قدسية العهد القديم مثل قدسية العهد الجديد عندهم.

هذه البشارة هى ما ورد فى سفر التثنية : "جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم"[٢].

---

(١) انظر: اظهار الحق ص (٥٣١ ـ ٥٥١).

(٢) سفر التثنية ٣٣ ـ ١ : ٣.

فقوله "فاران" هى جبال مكة، لأنه ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف فى ذلك، فإن ادعى أحد أنها غير مكة فهذا من الإفك والتحريف.

ويستنبط "ابن تيمية" من دلالة الألفاظ التأكيد على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "قال فى الأول جاء أو ظهر، وفى الثانى أشرق، وفى الثالث استعلن، وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس ازداد به النور والهدى، وأما بنزول القرآن فهو مميز له ظهور الشمس فى السماء، ولهذا قال: "واستعلن من فاران فإن النبى صلى الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهداه فى مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعلنت فى مشارق الأرض ومغاربها"[١].

ومما يدل على البشارة بالنبى صلى الله عليه فى التوراة والإنجيل الآيات التى وردت لتؤكد أن علماء بنى إسرائيل كانوا يعرفون مبعث محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٢].

ويقول سبحانه ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[٣].

ويقول عز وجل ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[٤].

وهذا يدل على أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد صلى الله عليه وسلم، إما شهادتها بثبوته وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات ونبوة من قبله وهو حجة على أهل الكتاب وغيرهم[٥].

ونتساءل:

ما هى الأسباب التى جعلت اليهود والنصارى ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن تبين لهم الحق وعلموا أنه النبى المنتظر؟

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٣٠١، ٣٠٢).

(٢) سورة الأنعام الآية (١١٤).

(٣) سورة البقرة الآية (١٤٦).

(٤) سورة المائدة الآية (٨٣).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٢٩٩).

لقد بدا أن هناك أسبابًا عامة يشترك فيها اليهود والنصارى

وتتمثل في:

١ ـ حب الرياسة والجاه.

٢ ـ ادعاء كل من اليهود والنصارى بعدم نسخ شريعتيهما بالإسلام .

وهناك أسباب خاصة بكل من اليهود والنصارى:

فبالنسبة لليهود تتمثل هذه الأسباب فى :

أ ـ الحسد.

ب ـ كراهيتهم لجبريل عليه السلام.

ج ـ ادعاؤهم أن الله عهد إليهم ألا يؤمنوا لرسول حتى ينزل عليهم قربانًا من السماء.

أما بالنسبة للنصارى، فإن هناك سببًا جوهريًا جعلهم يرفضون نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، تمثل هذا السبب فى تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على عبودية المسيح، وما كان النصارى ليوافقوا على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يرفض ألوهية المسيح، وسنتحدث عن الأسباب العامة التى يشترك فيها اليهود والنصارى ثم نتبعها بالأسباب الخاصة بكل من اليهود والنصارى.

أولاً : الأسباب العامة التى يشترك فيها اليهود والنصارى لإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

١ ـ حب الرياسة والجاه:

أ ـ عند اليهود:

من الأسباب الرئيسة التى منعت اليهود من الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم حب الرياسة والجاه، وقد وردت روايات متعددة اعترف فيها اليهود بأن محمدًا على الحق ولكن يمنعهم من الاعتراف به والإذعان له أنهم سيصيرون أتباعًا بعد أن كانوا متبوعين، حدث هذا بين زعماء اليهود وذلك أن "بنى النضير" لما أُجلوا عن المدينة أقبل "عمرو بن سعدي" فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها ففكر ثم رجع إلى "بنى قريظة" فوجدهم فى الكنيسة فنفخ فى بوقهم فاجتمعوا فقال "الزبير بن باطا" : يا أبا"سعيد" أين كنت منذ اليوم فلم تزل، وكان لا يفارق الكنيسة؟ وكان عزيزًا فى اليهودية قال: رأيت اليوم عبرًا اعتبرنا بها رأيت إخواننا قد جلوا بعد ذلك العز والجاه، والشرف الفاضل، والعقل البارع، قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل، لا والتوارة ما سُلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة. وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزة بيَّته فى بيته آمنًا وأوقع بابن سنينة سيدهم، وأوقع ببنى قينقاع فأجلاهم وهم أصل جد يهود، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم فكُلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب يا قوم قد رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدًا فو الله إنكم لتعلمون أنه نبى قد بشرنا به ويأمره "ابن الهيبان" وأبو "عمير بن حراش" وهما أعلم يهود جاآنا يتوكفان قدومه من بيت المقدس وأمرانا باتباعه وأمرانا أن نُقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا فأُسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه، وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء.فقال "الزبير ابن باطا" قد والتوراة قرأت صفته فى كتاب التوراة التى نزلت على موسى ليس فى المثانى الذى أحدثنا قال: فقال له

كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟ قال: أنت يا كعب. قال: كعب فلم؟ والتوراة ما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا. فأقبل عمرو بن سعد على كعب فذكر ما تقاولا فى ذلك إلى أن قال عمرو: ما عندى فى ذلك إلا ما قلت ما تطيب نفسى أن أصير تابعًا"[١].

ويعلق ابن القيم على هذا النص بقوله:

"وهذا المانع هو الذى منع فرعون من اتباع موسى فإنه لما تبين له الهدى عزم على اتباع موسى عليه السلام فقال وزيره هامان بينما أنت إله تُعبد تصبح تابعًا لغيرك قال: صدقت"[٢].

والمتأمل فى قول كعب يظهر له بوضوح أن الرياسة التى كان يتمتع بها أشراف اليهود منعتهم من الإيمان بمُحمد صلى الله عليه وسلم، واستنكفوا أن يسمعوا لأحد كائنًا من كان حتى ولو كان هو المبشر به فى التوارة والذى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لأنهم سيصيرون أتباعًا بعد أن كانوا متبوعين.

يقول ابن القيم: "وقد ناظرنا نحن وغيرنا جماعة منهم تبين لبعضهم فساد ما هم عليه قالوا: لو دخلنا فى الإسلام لكنا من أقل المسلمين لا يأبه لنا، ونحن متحكمون فى أهل ملتنا فى أموالهم ومناصبهم ولنا بينهم أعظم الجاه"[٣].

لقد كان ما يحظى به أحبار اليهود من الجاه والسلطان عند أتباعهم من أكبر العوامل التى جعلتهم لا يصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام الغزالي: "وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم لمن نسخ علمهم"[٤].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٨٠، ٨١) مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ م.

(٢) انظر: هداية الحيارى ص (٥٢، ٥٣) بتصرف.

(٣) هداية الحيارى لابن القيم ص (٤٧، ٤٦).

(٤) إحياء علوم الدين (٩/١٦٨٨).

ب: عند النصارى:

من الأسباب العامة التى يشترك فيها اليهود مع النصارى: حب الرياسة والحرص على الدنيا.

إذ أن النصارى بعد أن وضح لهم الحق وعرفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه المبشر به فى كتبهم كان يجب عليهم أن ينصاعوا ويقبلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن حرصهم على الدنيا منعهم من ذلك، وعلى الرغم من أن رفضهم الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم اتسم باللين والهدوء بعكس اليهود. والدليل على ذلك ما فعله "المقوقس" عظيم مصر إذ أنه بالرغم من عدم اعترافه بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنه رد ردًا جميلاً على رسالة النبى صلى الله عليه وسلم وبعث مع حامل الرسالة بالهدايا للنبى صلى الله عليه وسلم.

وقد أورد "ابن القيم" كتاب النبى إلى "المقوقس" عظيم مصر ونص الرسالة:

"بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.. سلام على من اتبع الهدى.. أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

وبعث به مع "حاطب بن أبى بلتعة"، فقال "المقوقس" إنى قد نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر وأخذ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فجعله فى حُق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ثم دعا كاتبًا له يكتب بالعربية فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس

(١) سورة آل عمران الآية (٦٤).

عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيًا بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليكم"[١] .

ولم يسلم المقوقس!!!

ونرى أن عدم إيمان المقوقس بالنبى صلى الله عليه وسلم يرجع إلى خوفه على ملكه وسلطانه وحبه للدنيا وزخرفها، وإلا فما الذى يمنعه بعد أن أخبر بأنه يعرف النبى صلى الله عليه وسلم؟

والنموذج الثانى : هو هرقل عظيم الروم:

فقد أورد البخارى فى صحيحه أن هرقل عظيم الروم سأل أبا سفيان بن حرب وكان على الشرك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أسئلة ثم انتهى هرقل قائلاً لأبى سفيان: "فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدمى هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه"[٢] .

وفى رواية أخرى أن "هرقل" نادى" فقال يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتابعوا هذا النبي. فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نعرتهم وأيس من الإيمان قال ردوهم علىَّ وقال إنى قلت مقالتى آنفًا أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل"[٣] .

وهذا النموذج يرينا إلى أى حد كانت الرئاسة والملك تمنع النصارى من الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) زاد المعاد (٦١/٣) بتصرف

(٢) رواه البخارى باب بدء الوحى (٦/١)، والرواية طويلة وإنما اختصرناها لأن ما يهمنا هو موقف هرقل النهائى.

(٣) صحيح البخارى باب بدء الوحى (٧/١ ، ٨).

ويبدو أن هذا المانع كان السبب فى عدم إيمان علماء النصارى بعد اعترافهم بالحق.

فقد أورد ابن القيم أنه ناظر أحد علماء النصارى معظم يوم فلما تبين له الحق بُهت "فقلت له وأنا وهو خاليين: ما يمنعك الآن من اتباع الحق؟ فقال لى : إذا قدمت على هؤلاء الحمير (هكذا لفظه) فرشوا لنا الشقاف تحت حوافر دابتى وحكمونى فى أموالهم ونسائهم ولم يعصونى فيما آمرهم به، وأنا لا أعرف صنعة، ولا أحفظ قرآناً، ولا نحوًا، ولا فقهًا، فلو أسلمت لدرت فى الأسواق أتكفف الناس فمن الذى يطيب نفسًا بهذا؟ فقلت: هذا لا يكون، وكيف تظن بالله أنك آثرت رضاه على هواك يخزيك ويذلك ويحوجك؟ ولو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه أتم العوض عما فاتك فقال حتى يأذن الله.

فقلت : القدر لا يحتج به ولو كان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح وحجة المشركين على تكذيب الرسل ولا سيما وأنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به؟ فقال: دعنا الآن من هذا وأمسك"[1].

وإذا كان حب الجاه والسلطان والدنيا مسيطرًا على النصارى على هذا النحو فهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن المانع لهم الدنيا وزخرفها وهذا ما يمنع النصارى الآن من الدخول فى الإسلام.

---

(١) هداية الحيارى ص (٢٢٥).

٢ـ ادعاء اليهود والنصارى أن التوراة والإنجيل لم ينسخا بالقرآن الكريم:

أ ـ اليهود:

زعم اليهود أن شريعة موسى هى أول شريعة لم يتقدم مثلـها لأحد ولا يكون غيرهـا أبـدًا [١]، وأخـذوا من ذلك مسوغًا لعدم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

يصور القرآن الكريم موقفهم فى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٢].

يقول ابن ميمون اليهودي:

"إن دعوة سيدنا موسى لنا لم تتقدم مثلها لأحد ممن علمناه من آدم إليه ولا تأخرت بعده دعوة مثلها لأحد من أنبيائنا، وكذلك قاعدة شريعتنا أن لا يكون غيرها أبدًا فلذلك بحسب رأينا لم تكن ثم شريعة ولا تكون غير شريعة واحدة هى شريعة سيدنا موسى"[٣]

وأما عن الأنبياء بعد موسى عليه السلام فإن "ابن ميمون" يقرر أنهم كانوا بمنزلة الوعاظ للناس داعين لشريعة موسى يتواعدون الراغب عنها ويعدون من استقام فى اتباعها، وهذه الشريعة أبدية لبنى إسرائيل.

ويستدل ابن ميمون بنص فى سفر التثنية يقول: "السرائر للرب إلهنا والمعلقات لنا ولبنينا إلى الأبد لنعمل بكلمات هذه الشريعة"[٤].

---

(١) دلالة الحائرين ص (٤١١، ٤١٢). لموسى بن ميمون اليهودي.

(٢) سورة البقرة الآية (٩١).

(٣) دلالة الحائرين ص (٤١١، ٤١٢).

(٤) سفر التثنية ٢٩/٢٩.

واليهود على اختلاف فرقهم ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باستثناء فرقة منهم تدعى "الموشكانية " أشار إليها" الشهرستاني" أثبتوا النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم ولكن خصصوا رسالته إلى العرب ولسائر الناس، باستثناء اليهود ويحتجون بأن اليهود أهل ملة وما سواهم لا ملة لهم[١].

ويربط اليهود بين النسخ والبداء[٢]. ويقولون إن النسخ فى الأوامر بدَاء والبدَاءْ لا يجوز على الله تعالى [٣] إذ عندهم "كيف يجوز أن يُنسب إلى الله تعالى كتاب ينقض بعضه بعضًا يريدون بذلك ينسخ بعضه بعضًا" [٤].

أما فيما يتعلق بالشرائع فإنهم قد استنكروا أن يبدل الله آية بآية أخرى أو حكمًا بحكم آخر وكانوا يأخذون من جواز النسخ عند المسلمين مسوغًا لعدم الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون ها هو محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ثم يرجع فيه غدًا[٥].

هذا عن اليهود، فهم يعتبرون أن شريعة موسى هى الشريعة الأبدية ومن ثمَّ فهم لا يعترفون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويعيبون فى الوقت نفسه على جواز النسخ عند المسلمين ويعتبرون أن النسخ بداء استصواب شئ بعد أن لم يعلم.

ب ـ أما عند النصارى:

فإن بعض النصوص وردت فى العهد الجديد عن السيد المسيح عليه السلام مؤداها أنه ما جاء لينقض وإنما جاء ليكمل.

ورد فى متى: "ولا تظنوا أنى جئت لأنقض بل لأكمل فإن الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل"[٦].

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى (٢/٤٦، ٤٧).

(٢) البداء : ظهور الرأى بعد أن لم يكن واستصواب شئ بعد أن لم يعلم ويقال بدا لى فى هذا الأمر بداء أى ظهر لى فيه رأى آخر. المعجم الوسيط (١/٤٥).

(٣)الملل والنحل للشهرستانى(٢/٤٢) بهامش الفصل لابن حزم.

(٤)إفحام اليهود ص (١٥٥).

(٥) بنو إسرائيل فى الكتاب والسنة ص (١٥٣، ١٥٤).

(٦) انجيل متى ٥ ـ ١٨ : ١٧.

وقد أخذ النصارى هذا النص، وأنكروا جواز النسخ عقلاً وأنكروا وقوعه ليصلوا من هذا الإنكار إلى غاية حرصوا عليها وهى بقاء دينهم بجانب الدين الإسلامى بحجة أن شريعةً لا تنسخ بشريعة وأن حكما فى شريعة لا ينسخ بحكم فى شريعة بعدها[١].

فالنصارى كاليهود كلاً منهما أنكر النسخ ليصل من خلال إنكاره إلى إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومع إنكار محمد عند اليهود ينكرون عيسى عليه السلام أيضًا.

(١) انظر النسخ فى القرآن ص (٤٤، ٤٥، ٤٨) للدكتور مصطفى زيد.

الرد على مزاعم اليهود والنصارى فى عدم النسخ

أولاً: اليهود:

يبين الله عز وجل كذب اليهود فى رفضهم الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم تحت دعوى الاكتفاء بما أنزل على أنبيائهم الذين أتوا بتقرير شريعة موسى عليه السلام فيقول الله كاشفًا لسلوكهم المشين مع أنبيائهم﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[1].

وهذه الآية تبين كذب اليهود وافترائهم من وجوه:

الأول: أن دعوى اليهود بأنهم يؤمنون بالتوارة التى نزلت عليهم فيها تناقض لأن التوراة تدل على الصدق، ودلت أيضًا على أن من كان صادقًا فى ادعاء النبوة ثم قُتِل فإن قتله يقتضى كفر من قتلوه واليهود قتلوا أنبياءهم مثل "زكريا" و"يحيى" عليهما السلام، وهموا بقتل "عيسى" عليه السلام ولكن الله عز وجل نجاه منهم.

الثاني: أن دعوى اليهود منقوضة لأنهم لم يلتزموا بما جاء به موسى عليه السلام واتخذوا العجل فى حياته ولو كانوا مؤمنين حقًا بالتوراة، وبموسى ما فعلوا ذلك.

الثالث: أنه لما ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات التى ظهرت على يديه وبما تواتر لدى اليهود من البشارة به فى التوراة كان الإيمان به واجبًا لا محالة، وعند هذا يتضح أن الإيمان ببعض الأنبياء وببعض الكتب والكفر بالبعض الآخر خروج عن الإيمان والتصديق أصلاً وفصلاً ومن ثمَّ يظهر كذب اليهود فيما ادعوه من الإيمان بموسى وبأنبيائهم، لأنهم لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه.

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٢، ٩١).

أما ما يزعمه اليهود من أن شريعتهم أبدية وهو ما ذكره ابن ميمون فيرد عليهم، وعليه بما ورد فى التوراة التى بين أيديهم من أن هناك نبيًا منتظرًا يأتى وهم مأمورون بالإيمان به واتباعه.

ورد فى سفر التثنية: "يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون"(١).

وورد فى نفس السفر: "أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به بأسمى أنا أطالبه"(٢).

وهذا النص والذى قبله يشيران إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الله عز وجل يقول سأجعل لبنى إسرائيل نبيًا من إخوتهم، وإخوتهم أولاد إسماعيل عليه السلام ولو كان النبى من أولاد يعقوب لقال منهم أو من أنفسهم ولم يقل من إخوتهم لأنه قد ورد فى التوراة الحالية أنه لا يكون نبى من بنى إسرائيل مثل "موسى"، فلابد وأن يكون من غير بنى إسرائيل وبأن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم (٣).

أما استدلال فلاسفتهم مثل "موسى بن ميمون" على أبدية الشريعة، فإن كلمة الأبد وردت فى العهد القديم بمعنى المدة المحدودة، فقد ورد فى سفر التثنية: "لا يدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد فى جماعة الرب إلى الأبد"(٤).

وهذا يدل على أن الأبد هنا محدد(٥). بالجيل العاشر، وكذلك شريعة موسى ليست أبدية إلى يوم القيامة وإنما هى مؤقتة بظهور النبى صلى الله عليه وسلم ومن هنا يظهر كذب اليهود فى ادعائهم أبدية الشريعة اليهودية.

---

(١) سفر التثنية ١٨ ـ ١٥.

(٢) سفر التثنية ١٨ ـ ١٨ : ٢٠.

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٤٦).

(٤) سفر التثنية ٣/٢٣.

(٥) اشعياء ٦٠ـ ٢٠ : ٢٢.

وقد أورد الإمام السموآل فى كتابه إفحام اليهود إلزامات على اليهود فى النسخ منها قوله فى مجادلتهم:

هل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا؟

فإن جحدوا كذبوا بما نطق به الجزء الثانى من السفر الأول من التوراة، إذ شرع الله تعالى على نوح عليه السلام القصاص فى القتل ذلك بقوله "شيوفيخ دام ها أدام داموا يشافيخ كى بصلم ألوهيم عاما اث ها أدام"

تفسيره:

"سافك دم الإنسان فليحكم بسفك دمه لأن الله تعالى خلق الآدمى بصورة شريفة"[1].

وبما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة إذ شرع الله تعالى على إبراهيم عليه السلام ختانة المولود فى اليوم الثامن من ميلاده، وهذه وأمثالها شرائع لأن الشرع لا يخرج عن كونه أمرًا ونهيًا من الله عز وجل لعباده سواء نزل على لسان رسول أو كتب فى أسفار أو ألواح أو غير ذلك، فإذا أقروا بأن قد كان شرع، قلنا لهم: ما تقولون فى التوراة هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا؟ فإن لم تكن أتت بزيادة فقد صارت عبثًا إذ لا زيادة فيها على ما تقدم ولم تغن شيئًا فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله تعالى فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله تعالى، وذلك كفر على مذهبكم وإن كانت التوراة أتت بزيادة فهل فى تلك الزيادة تحريم ما كان مباحًا أم لا؟

فإن أنكروا ذلك بطل قولهم من وجهين:

الأول: أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية فى يوم السبت بعد أن كان ذلك مباحًا وهذا بعينه هو النسخ.

الثاني: أنه لا معنى للزيادة فى الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته أو إباحة ما تقدم تحريمه[2]. وهى إلزامات لا يمكن لليهود نقضها إلا بالمكابرة والجحود. وقد ورد فى أسفار اليهود ما يدل دلالة قاطعة على وجود النسخ فى الشريعة اليهودية،

---

(١) هذه هى ترجمة الإمام السموآل للنص العربي، أما ترجمة النص ذاته فى العهد القديم الآن فهو "سافك الإنسان بالإنسان يسفك دمه لأن الله على صورته عمل الإنسان" تكوين ٩ ـ ٦،

(٢) إفحام اليهود ص (٨٨، ٧٧، ٨٦)

وهناك نصوص حرمت عليهم بعض الأطعمة ونصوص أخرى أحلت لهم هذه الأطعمة.

من ذلك ما ورد فى سفر التكوين" وبارك الله نوحًا وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم كل دابة حية تكون لكم طعامًا كالعشب الأخضر دفعتُ إليكم الجميع"(١).

هذا النص يفيد أن الأطعمة كلها كانت حلالاً لنوح عليه السلام ولأبنائه ولكن هذا العموم وتلك الإباحة حرمت منها بعض الأطعمة، من ذلك ما ورد في نفس سفر التكوين ولكن فى زمان يعقوب"فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأنى نظرت الله وجهًا لوجه ونجيت نفسى وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يجمع على فخذه لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا"(٢).

وكما هو واضح فإن يعقوب حُرم عليه ما أحل لنوح ولأبنائه أما فى زمان سيدنا موسى فإن هناك جملة من الأطعمة حرمت على اليهود من ذلك ما ورد فى سفر اللاويين" وكل دبيب يدب على الأ رض فهو مكروه لا يؤكل كل ما يمشى على بطنه وكل ما يمشى على أربع مع كل ما كثرت أرجله من كل دبيب يدب ولا تتبخسوا به، ولا تكونوا به، إنى أنا الرب إلهكم فتتقدسون فتكونوا قديسين لأنى قدوس ولا تبخسوا أنفسكم بدبيب على الأرض لا تأكلوه لأنه مكروه، لا تدنسوا أنفسكم بدبيب يدب على الأرض، هذه هى شريعة البهائم والطيور وكل نفس حية تسعى فى الماء وكل نفس تدب على الأرض للتمييز بين النجس والطاهر وبين الحيوانات التى تؤكل والحيوانات التى لا تؤكل"(٣).

---

(١) سفر التكوين ٩ ـ ١ : ٤.

(٢) سفر التكوين ٣٢ ـ ٣٠ : ٣٣.

(٣) سفر اللاويين ١١ ـ ٤١ ، ٤٧. وقد اكتفيت هنا بإيراد بعض الفقرات وإلا فإن الإصحاح كله أسماء حيوانات وطيور وأسماك. هذه تؤكل هذه لا تؤكل مثل الأرنب والجمل وكل ما ليس مشقوق الظفر والضب والفار وأصناف متعددة مذكورة بأسمها.

وهذا النص أوضح من سابقيه فى تحريم بعض الأطعمة التى أحلت لنوح وليعقوب عليهما السلام، وكما فعل الله مع نوح ويعقوب وموسى وعيسى فعل مع محمد صلى الله عليه وسلم، فقد نسخ الإسلام الشرائع السابقة التى قبله، وجاء بحل لكثير من الأطعمة التى حُرمت على اليهود بسبب ظلمهم.

يقول تعالى ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾[1].

أما بالنسبة لأمة الإسلام فإن الله عز وجل قد أباح كل الأطعمة باستثناء بعض المحرمات. يقول تعالى ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾[2].

وبعض الأطعمة الأخرى التى وردت فى السنة مثل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور والحمر الأهلية.

وغرضنا من هذا كله أن نبين أن النسخ كان موجودًا فى شريعة الأنبياء قبل وبعد موسى عليه السلام كما أوضحنا.

بقيت نقطة أخيرة: وهى ربط اليهود بين النسخ والبداء:

إن النسخ لا يغير أمرًا قد استحدث عند الله بعد أن لم يكن، وإنما هو جديد بالنسبة للبشر فقط أما بالنسبة لله تعالى فهو قد سبق فى علمه وأظهره فى وقت حدده سبحانه وتعالى، فالنسخ يعتبر تحقيقًا لما علمه الله لا اعتراضًا عليه، ومثال ذلك ولله المثل الأعلى: حين يعالج الطبيب مريضًا فيرى أن المرحلة التى يجتازها من مراحل مرضه يصلح لها دواء معين وهو يعلم المدة التى يجب أن يتناول الدواء فيها، ثم يصف بعد مدة أخرى دواء آخر يصلح له فى هذه المرحلة لا يوصف الطبيب أنه كان جاهلاً لأنه وصف دوائين فى فترتين مختلفتين، لأنه هو الذى قد حدد حالة المريض منذ البداية والله عز وجل سبق فى علمه شريعة معينة تصلح لوقت معين وشريعة

(١) سورة النساء الآية (١٦٠).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٤٥).

أخرى تصلح لوقت آخر تنسخ سابقتها، هل يوصف بالجهل؟ تعالى الله عما يصفه به اليهود"[١].

ونحن نتساءل إذا كان النسخ موجودًا بالنصوص التى أوردناها من عند اليهود وان النسخ لا يستلزم البداء فلماذا ينكر اليهود النسخ؟

والجواب على هذا من خلال دراسة الباحث ينحصر في:

أولاً: أن اليهود يكتمون الحق وهم يعلمونه.

ثانيًا: أن اليهود اختلقوا مسألة عدم جواز النسخ لا لأن شريعتهم لا تقول بذلك، ولكنهم يقصدون من وراء إنكارهم النسخ ووقوعه إنكار نبوة عيسى عليه السلام أولاً، وثانيًا إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بناءً على أن شريعتهم أبدية كما يزعمون وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لها، ومن ثمّ فهم قد اخترعوا عدم جواز النسخ لهذا السبب.

---

(١) انظر النسخ للدكتور مصطفى زيد ص (٣٠، ٣١) وانظر إفحام اليهود ص (٩٩، ١٠٠)،

الرد على النصارى فى منعهم النسخ:

ب ـ أما ما يدعيه النصارى من عدم جواز النسخ بناء على ما ورد فى إنجيل "متى"، فإنه قد ورد عن المسيح نفسه فى إنجيل "متى" حسب زعم النصارى ما يفيد النسخ، وورد أيضًا عن تلاميذه ما يفيد ذلك، أما ما ورد عن المسيح ففى إنجيل "متى" ورد" وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان. قالوا: فلماذا أوحى موسى أن يعطى كتاب طلاق فنطلق؟ قال لهم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هذا وأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى والذى يتزوج بمطلقة يزني"[1].

وما ورد فى "متى" يخالف ما ورد فى سفر التثنية الذى ورد فيه: "إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب بشئ وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة"[2].

فنصوص إنجيل "متى" حرمت الطلاق إلا بسبب الزنا.

ونصوص سفر التثنية أباحت الطلاق مطلقًا، ونص "متى" نسخ نص التثنية.

أما ما ورد عن تلاميذ المسيح فقد ورد فى أعمال الرسل ما نصه:

"فقد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر من غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا

---

(١) متى ١٩ ـ ٣: ١٠.

(٢) التثنية ٢٤ ـ ١: ٤.

عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون كونوا معافين"[١].

وهذا النص يخالف ما ورد فى سفر اللاويين [٢] من تحريم جملة كبيرة من الأطعمة مذكورة بأسمائها فى السفر المذكور وقد أوردنا طرفًا منها عند حديثنا عن جواز النسخ فى شريعة اليهود، وهنا أمور كثيرة أحلها عيسى عليه السلام مثل الختان ووجوبه عند اليهود، فقد أباحه عيسى عليه السلام ومثل الراحة فى يوم السبت، فقد نسخها عيسى عليه السلام وإنما لم نكثر من الحديث عند النصارى لإلزامنا إياهم بما ألزمنا به اليهود، لأن النصارى تقدس العهد القديم والجديد معًا.

(١) أعمال الرسل ١٥ ـ ٢٩ : ٢٦.

(٢) سفر اللاويين وانظر على وجه الخصوص الإصحاح ١١ ـ ٤١ : ٤٧.

الأسباب الخاصة التى جعلت اليهود لا يعترفون بالنبى ﷺ

١ـ الحسد:

الحسد مرض نفسى لعين وداء فى النفس وحين يرى الحاسد المحسود وقد منَّ الله عليه بشئ لم يؤت مثله فإن الحسد لا يدعه ينقاد للمحسود ويكون من أتباعه،

وللحسد أسباب كثيرة ذكرها الإمام الغزالى فى الإحياء منها:

[١] العداوة والبغضاء والحسد بسبب البغض الذى يفضى إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر فى إزالة النعمة بالحيَّل وما يجرى مجراها. وقد ولدت العداوة والبغضاء كل الرذائل التى مارسها اليهود مع الرسول والمسلمين.

[٢] التعزز: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره وقد كان هذا من ضمن الأسباب التى جعلت اليهود لا يقبلون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

[٣] الكبر: ذلك أن اليهود فى طبعهم من الحقد والاستكبار ما جعلهم يمتنعون عن الانصياع لرسالة الإسلام.

[٤] التعجب: واليهود كانوا أكثر الناس عجبًا بأنفسهم فقد زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه.

[٥] الخوف من فوت المقاصد. فقد خاف اليهود من فوت المال والسلطان إذا دخلوا فى الإسلام.

[٦] خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله. واليهود لم يكتفوا بالبخل والشح وإنما أضافوا على خسائسهم الاعتراض على فضل الله بإعطائه النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم[١].

---

(١) إحياء علوم الدين (٩/١٦٨٦ ـ ١٦٨٨) وانظر الدعوة والإنسان ص (٤٣٦، ٤٣٧).

وقد حسد اليهود النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الأسباب كلها وزيادة على ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بشريعة ناسخة لشريعتهم وبكّت اليهود، وبينَّ مكرهم وخداعهم لله ورسله، بل وقاتلهم وحاربهم وأخرجهم من ديارهم، ولم يملكوا معه شيئًا، فكيف لا يملك الحسد والبغى قلوبهم وهم مستعدون لذلك؟

وقد تتبعت الآيات القرآنية التى وصفت أهل الكتاب بالحسد فوجدت فى سبب نزولها أنها خاصة باليهود فحسب، وهذا ما جعلنى أذكر الحسد بجانب اليهود بالرغم من أن عموم الآيات فى القرآن الكريم تذكر أن الحسد عام فى أهل الكتاب، وقد ظهرت مواقف من اليهود تبين حسدهم للنبى صلى الله عليه وسلم.

منها: قولهم للمشركين حين سألوهم نحن على الحق أم محمد؟ فقالوا لهم بل أنتم على الحق.

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس "كان الذين حزَّبوا الأحزاب على الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وغطفان وبنى قريظة: " حيَّى بن أخطب"و"سلام ابن أبى الحقيق"وأبو رافع و"الربيع بن أبى الحقيق"و"أبو عمارة"و"هوذة بن قيس" وكان سائرهم من بنى النضير فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود أهل العلم بالكتب الأولى فاسألوهم أدينكم أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه، فأنزل الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝ ﴾[1].

والحسد الذى تم من اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم بسبب النبوة التى تفضل الله بها عليه وضم إليه أنه جعله كل يوم أقوى دولة وأعظم شوكة وأكثر أنصارًا

(١) سورة النساء الآية (٥١ : ٥٤) وانظر لباب المنقول فى أسباب النزول للسيوطى ص (١١٣، ١١٤).

وأعوانًا وكل ذلك مما يوجب الحسد العظيم، والله عز وجل يعنف اليهود لحقدهم وحسدهم للرسول صلى الله عليه وسلم بالذات.

مع أن الله عز وجل جعل فى أولاد إبراهيم النبوة والملك، واليهود لا يتعجبون من ذلك ولا يحسدونهم، فلِمَ يتعجبون من محمد ويحسدونه؟[١].

والحسد من جانب اليهود لم يقف عند حد النبى صلى الله عليه وسلم وإنما تعداه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم..

يقول الله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[٢].

إن الحسد من جانب اليهود الذى ينبعث منهم يسببه الحقد والكراهية إلى درجة أنهم يتمنون أن يعود المسلمون كفارًا.

فقد أورد "الرازي" أن نفرًا من اليهود منهم "فنحاص بن عاذوراء و"زيد بن قيس" قالوا لجماعة من المسلمين منهم" حذيفة بن اليمان" و"عمار بن ياسر" بعد غزوة أحد: ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً فرفضوا وردوا عليهم بأنهم لا يتركون دينهم ماداموا على قيد الحياة ثم أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبروه فقال أصبتم وأفلحتم فنزلت هذه الآية"ود كثير من أهل الكتاب"[٣].

ولم يتوقف الحسد عند حد الانفعال الأسود الخسيس تجاه الإسلام والمسلمين بل تعداه إلى همهم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ومعاونتهم المشركين فى غزوة الخندق.

فقد أورد ابن هشام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بنى النضير يستعينهم فى دية قتيلين قتلهما المسلمون خطأ. فلما ذهب إليهم قالوا: "نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببتَ مِّما استعنتَ بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا

---

(١) انظر التفسير الكبير للرازى (١٠/١٣٢، ١٣٣).

(٢) سورة البقرة الآية (١٠٩).

(٣) انظر الرازى (٣/٢٦٢، ٣٦٦٣) وفى ظلال القرآن (١/١٠٢، ١٠٣).

إنكم لم تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد فمن رجل يعلو على هذا فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه. فانتدب لذلك "عمرو بن جحاش بن كعب" أحدهم فقال: أنا كذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم"[١].

ودفع بنو النضير " جزاء حسدهم وبغيهم وخيانتهم لله ولرسوله وللمؤمنين، وأجلاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ديارهم بعد أن شفع فيهم رأس المنافقين "عبد الله بن أبى بن سلول".

وما موقف بنى قريظة ببعيد عن موقف إخوانهم فى الكفر من بنى النضير فقد ظاهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحالفوا مع المشركين وسائر قبائل العرب حول المدينة، لولا أن عصم الله المسلمين من فتنة أحدقت بهم وزُلزلوا زلزالاً شديدًا، ورد الله المشركين بغيظهم لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال ووقع الجزاء الأوفى باليهود الذين خانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويتضح الحسد والحقد فى نفوسهم أثناء محاصرة النبى صلى الله عليه وسلم لهم من رفضهم للعرض الذى عرضه عليهم أحدهم وهو كعب بن أسد وذلك أنه قال لهم: (يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاث فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فو الله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل وأنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره)[٢].

فقد وصل بهم الأمر والموت يحيط بهم من كل جانب أن يرفضوا نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم حسدًا وحقدًا وبغضًا للإسلام ولرسوله.

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/١١٤).
(٢) سيرة ابن هشام (٣/١١٤).

وكما يقول أستاذنا الدكتور "عبد الله الشاذلي: فإن مسلك اليهود يجرى على وتيرة واحدة أنهم لا يعبأون بالأمر عند ظهوره فإذا ما رأوه نشط حاولوا احتواءه بشتى الوسائل وإذا ما قوى واجهوه بحدة وجمعوا له كل ما لديهم وجندوا له جنودهم واستنفروا همم المنكرين ليقفوا صفًا واحدًا ضد الحق، ولكن النتيجة المحتومة تكون دائمًا لصالح الحق المؤكد لا الباطل المموه[١]، وهذا ما حدث بالفعل فى الصراع بين الإسلام واليهود.

وهذا ما سيحدث إن شاء الله بين الإسلام واليهود فى المعركة الدائرة بينهم الآن.

وصدق الله العظيم إذ يقول: "﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[٢].

[٢] دعوى اليهود أن الله عهد إليهم ألا يؤمنوا برسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار:

لقد زعم اليهود وافتروا كذبًا على الله رب العالمين أن الله عهد إليهم ألا يؤمنوا برسول حتى يأتيهم بآية حسية محددة تتمثل فى قربان يأكله النار وهم يقصدون من وراء ذلك عدم الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لأنه ما دام لم يأتهم بقربان فليس برسول من عند الله.

يقول الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[٣].

والله عز وجل يقيم الحجة على اليهود أنه إذا كان الشرط نزول قربان، فإن هذا الشرط قد تحقق على أيدى رسل من قبل النبى صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كذبهم اليهود وقتلوهم، هذا على فرض صحة كلام اليهود أن الله عهد إليهم بذلك[٤].

---

(١) انظر بتصرف: الدعوة والإنسان ص (٤٥٩).

(٢) سورة غافر الآية (٥١).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٨٣).

(٤) انظر تفسير الجلالين ص (٦٢).

ولكن الإمام الرازى يذهب إلى أن ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة ويستدل على ذلك بوجوه منها:

(١) لو كان ذلك حقًا لكانت معجزات الأنبياء كلها هذا القربان، ومعلوم أن معجزات الأنبياء ما كانت هذا القربان كما دلت معجزات موسى عليه السلام مع فرعون عليه اللعنة.

(٢) أن نزول هذه النار وأكلها للقربان معجزة، فكانت هى وسائر المعجزات على السواء، فلم يكن فى تعيين هذه المعجزة وتخصيصها فائدة. ولما ظهرت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم وهى القرآن وجب القطع بنبوته سواء ظهرت هذه المعجزة أو لم تظهر.

(٣) أنه إما أن يقال أنه جاء فى التوراة أن مدعى النبوة وإن جاء بجميع المعجزات فلا تقبلوا قوله إلا أن يجئ بهذا القربان، أو يقال جاء فى التوراة أن مدعى النبوة يطالب بالمعجزة سواء كانت المعجزة هى مجيء النار أو شئ آخر والقول الأول باطل لأن على هذا التقدير لم يكن الإتيان بسائر المعجزات ولأعلى الصدق، وإذا جاز الطعن فى سائر المعجزات جاز الطعن أيضًا فى هذه المعجزة المعينة.

والقول الثانى باطل أيضًا لأنه يقتضى توقيت الصدق على ظهور مطلق المعجزة لا على ظهور هذه المعجزة المعينة، فكان اعتبار هذه المعجزة عبثًا ولغوًا، وهذا يدل على كذب اليهود فى كل الأحوال وعلى كل الاحتمالات[1].

٣ ــ كراهية اليهود لجبريل عليه السلام منعتهم من الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم:

من الأسباب التى جعلت اليهود لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم كون جبريل هو الذى ينزل بالوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) التفسير الكبير للرازى (٩/١٢٠ ، ١٢١) بتصرف.

فقد أورد "السيوطي" فى لباب المنقول أن: "عمر كان يأتى اليهود فيسمع من التوراة فيتعجب كيف تصدق ما فى القرآن. قال: فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقلت نشدتكم بالله أتعلمون أنه رسول الله فقال عالمهم: نعم. نعلم أنه رسول الله. قلت: فلمَّ لا تتبعونه؟ قالوا: سألناه من يأتيه بنبوته فقال: عدونا جبريل لأنه ينزل بالغلظة والشدة والحرب والهلاك. قلت: فمن رسلكم من الملائكة؟ قالوا: ميكائيل ينزل بالقطر والرحمة. قلت: وكيف نزلهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر عن الجانب الآخر قلت: فإنه لا يحل لجبريل أن يعادى ميكائيل، ولا يحل لميكائيل أن يسالم عدو جبريل. وأننى أشهد أنهما وربهما سلْمٌ لمن سالموا وحرب لمن حاربوا. ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أريد أن أخبره فلما لقيته قال: ألا أخبرك بآيات أنزلت عليّ؟ فقلت: بلى يارسول الله. فقرأ (مَنْ كان عدوا لجبريل ..) حتى بلغ (.. للكافرين) فقلت يارسول الله والله ما قمت من عند اليهود إلا إليك لأخبرك بما قالوا لى وقلت لهم فوجدت الله قد سبقني"[1].

وقد وردت روايات أخرى متعددة يقوى بعضها بعضًا على أن قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧﴾[2].

وهذا الاعتراض من جانب اليهود على جبريل مماحكة وتنطع، وإلا فما دخلهم باختيار الله لملائكته لما حسدوا النبى صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يعم حقدهم وحسدهم على ملائكة الله التى لا علم لأحد من خلق الله بهم إلا عن طريق رسل الله، ولكنهم أرادوا أن يدخلوا فى كل صغيرة وكبيرة وكأنهم أوصياء على خلق الله ورسله وملائكته أيضًا ولا يستغرب الإنسان كثيرًا لمثل هذه المماحكات، فقد افتروا على الله واتهموه بما لا يليق به، ولهم شبهات أخرى تتعلق بتحويل القبلة وسؤالهم النبى صلى الله عليه وسلم عن كيفية خلق الجنين ذكرًا أو أنثى فى بطن أمه وعن أشراط الساعة وغيرها كثير اكتفينا بأهم الشُبَهِ التى رفضوا الإسلام من أجلها.

---

(١) لباب النقول ص (١٥ : ١٧) وفتح البارى (٨/١٣٥).

(٢) التفسير الكبير للرازى (٩/١٢٠ ، ١٢١) بتصرف.

من الأسباب الخاصة عند النصارى فى إنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السلام:

وهذا السبب جعلهم يرفضون الإسلام ونبيه لأنهم لم يكن عندهم أدنى استعداد لأن يستمعوا من أحد أن عيسى عبد الله ورسوله. وقد ورد أن وفد نجران أتى النبى صلى الله عليه وسلم وكان محور الجدال حول ألوهية عيسى عليه السلام وفى هذا الحوار اعتبر وفد نجران أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنه عبد الله ورسوله - نوع من الاستهزاء والسخرية بعيسى عليه السلام.

يقول الألوسي: ذكر غير واحد أن وفد نجران قالوا لرسول الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا؟ قال: ما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد الله. قال: أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت إنسانًا قط من غير أب فإن كنت صادقًا فأرنا مثله فأنزل الله تعالى ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

فقد اعتبر وفد نجران أن وصف عيسى بالعبودية فيه إهانة له، ولذلك لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من عُباد الجدل وعشاق الحوار دعاهم إلى المباهلة، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما تريد أن تفعل فيما دعوتنا إليه، فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمدًا لنبى مرسل، وقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم. ولقد علمتم ما باهل قوم نبيًا قط فبقى كبيرهم.

أما النصرانى فقال: "أنا لا أقول فى عيسى عليه السلام أنه كان بَنِيًّا بل أقول إنه كان إلهًا"[2].

ولقد تعرضنا لنفى ألوهية المسيح عند حديثنا عن النزعة المادية عند النصارى[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية (٦١) وانظر الألوسى (١٨٦/٣) وانظر لباب المنقول ص (٨٥).

(٢) التفسير الكبير للرازى (٨/ ٨٣).

(٣) انظر رسالتنا للدكتوراة: موقف القرآن الكريم من الفكر المادي. كلية أصول الدين بطنطا سنة ١٩٩٠ م.

إنكار المستشرقين للنبى صلى الله عليه وسلم

تمهيد:

الإستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى وهو مصطلح واسع يشمل البحث فى العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ وكل ما يتعلق بالشرق عامة[١]، والمسلمين خاصة.

والهدف الأساسى من دراسة المستشرقين للشرق هو ما وضحه "رودى بارت " بقوله: "وعملنا على مستوى العلماء يسعى إلى هدف بعينه هو اختراق الأفق الفكرى الذى تفرضه البيئة حولنا وإلقاء نظرة إلى عالم الشرق لكى نتعلم من الكيان الغريب علينا كيف نحسن فهم إمكانيات الوجود الإنسانى وكيف نحسن بهذا فهم ذاتنا نحن فى نهاية المطاف"[٢]. فالهدف كما يصرح "رودى بارت " هو فهم ذاتهم هم أولاً وأخيرًا لأن الحروب الصليبية تركت فى نفوس الأوروبيين آثارًا عميقة. وجاءت بعد ذلك حركة الإصلاح الدينى فى أوربا على يد "مارتن لوثر، وكالفن "وغيرهما: فشعر المسيحيون بحاجات ضاغطة لإعادة النظر فى شرح كتبهم الدينية ولمحاولة فهمها على أساس تطورات حركة الإصلاح فاتجهوا إلى الدراسات العبرية التى أدتهم إلى العربية التى أدتهم إلى الإسلامية لأن فهم اللغة لا يتأتى إلا من خلال الدراسات الإسلامية. هذا من جانب النصارى.

أما من جانب اليهود فإن الدكتور "البهي" يذكر أن إقبال اليهود على الدراسات الإستشراقية كان بهدف إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه بادعاء أن اليهودية هى مصدر الإسلام الأول، وكان لأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة ودولة[٣].

---

(١) التفسير الكبير للرازى (١٢٠/٩ ، ١٢١) بتصرف.

(٢) انظر الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية. تأليف رودى بارت، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكاتب العربي. وانظر المستشرقون ومشكلات الحضارة ص (١١) للدكتورة عفاف صبرة.

(٣) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ملحق المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام ص (٤٧٣ ، ٤٧٤).

والاستشراق بدأ بداية فردية، وتشير المصادر إلى أن بداية الدرسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثانى عشر، ففى عام ١١٤٣م تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية واستمرت الدراسات الاستشراقية فى القرن الثالث عشر والرابع عشر وكان الهدف من ورائه إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي[١].

ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق انتشر فى أوربا بصفة جدية بعد فترة الإصلاح الديني[٢].

(١) الدراسات العربية ص (٩).

(٢) الفكر الإسلامى الحديث ص (٤٧٢).

أهم شبهات المستشرقين حول النبوة:

ادعاؤهم أن القرآن الكريم ليس وحيًا من عند الله وإنما هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.

تكاد تتفق كلمة المستشرقين على أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن وقد تأثر بالبيئة العربية من حوله وظهر هذا فى القرآن الكريم كفكرة الإله الواحد.

يقول المستشرق الإنجليزى "جب" : "إن فكرة الوحدانية كانت معروفة فى غرب الجزيرة العربية، لقد كان وجود الإله الأكبر وهو الله مبدأ مقبولاً كأصل عام لدى محمد ولدى خصومه على السواء، والقرآن لم يناقش هذه النقطة أبدًا"[١].

وفكرة تأليف الرسول للقرآن لا يكاد يخلو كتاب لأحد من المستشرقين عنها.

أما "جولدتسيهر" فهو يرى أن رسالة الإسلام التى جاء بها النبى ليست "إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية مثل كلامه عن الدار الآخرة الذى استقاه من تاريخ العهد القديم وكان ذلك فى أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء"[٢]. ويردد هذا الكلام جُل المستشرقين[٣].

تفنيد هذه الشبهة:

سوف نتناول أصل الشبهة وهو تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن من مصدر بشرى من داخل الجزيرة العربية أو من خارجها.

---

(١) المذهب المحمدى لجب نقلاً عن الفكر الإسلامى الحديث ص (٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) العقيدة والشريعة فى الإسلام ص (٥ ـ ٨) بتصرف كبير، اجناس جولد تسهير، ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرين. الناشر دار الرائد العربي.

(٣) انظر الفكر الإسلامى الحديث ص (٢٠٢، ٢٠٣) وانظر دائرة المعارف الإسلامية (١٢ /٤١٦، ٤١٧) وانظر الاستشراق والخلفية الفكرية ص (٨٢، ٨٣) وانظر = صور استشراقية للدكتور عبد الجليل شلبى ص (٧٠ ـ ٧٢) وانظر سيكولوجية القصة فى القرآن ص (١٢).

ولنبدأ أولاً: بمكة من يا ترى من الممكن أن يعلم محمدًا؟ هل المكيون الذين كانوا فى ضلال مبين كما صرح القرآن؟ إن هذا الافتراض لا يقبله عقل ولا يؤيده نص من النصوص.

أما أن يكون أحد الذين يقرأون ويكتبون فى مكة هو الذى علم الرسول. وأول من تتجه الأنظار إليه "ورقة بن نوفل" لم يُعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جلس إليه وتعلم منه قبل البعثة. والرواية التى تبين التقاء الرسول بورقة كان عن طريق خديجة وكان كلام ورقة للنبى محددًا بأنه النبى المنتظر ولم يثبت ولم ينُقل إلينا أنه لقن النبى مواعظ، كل ما ذكره أنه سيؤذى وسيخرجه قومه من مكة. وهذه المعلومات كان قد عرفها عن طريق بشارات الأنبياء فى التوراة والإنجيل بالنبى صلى الله عليه وسلم.

بقى احتمال آخر، وهو أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن من مجموعة من العبيد النصارى الذين كانوا يسكنون مكة كالحداد النصرانى الذى اتهم أهل مكة النبى بالتلقى عنه أو بعض الزنوج الأحباش الذين كانوا يبيعون النبيذ بمكة.

إن المستشرقين" يتركوننا فى غموض وإبهام ولا يقدمون لنا وثيقة واحدة عن علاقات فعلية للرسول لهذا النوع مَنْ الذين يمكن أن يتلقى الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم القرآن"[1].

وإذ لم يقدم المستشرقون أى وثيقة تثبت ذلك، فإننا ننفى نفيًا قاطعًا تعلم الرسول القرآن من أحد، لأن شواغله ما بين الرعى والتجارة تمنعه من الجلوس لأحد والتلقى عنه.

> أما زعمهم أنه تلقى القرآن من مصدر خارجى من خلال رحلاته التجارية وأسفاره فإن أشهر رواية فى هذا الزعم ادعاؤهم أنه التقى ببحيرا الراهب .... ونحن نناقش هذا الزعم فى مستويين:

(١) مدخل إلى القرآن ص (١٣٤).

المستوى الأول : مدى صحة هذه الروايات ومدى موافقتها للصواب.

وكما يقول الدكتور "دراز" الصواب يمنعنا من الأخذ بهذه المقابلة العارضة واعتبارها مصدرًا لتعليم محمد، لأن هذه القصة إما أنها أسطورية أو أنه يتعين علينا أخذ كل الوقائع التى نذكرها فى الحسبان"[١].

وقد رجح أحد المستشرقين الاحتمال الأول إذ يقول: "لا تسمح النصوص العربية التى عثر عليها ونُشرت وبُحثت منذ ذلك الوقت بأن ترى فى الدور المسند إلى هذا الراهب السورى إلا مجرد قصة من نسج الخيال"[٢].

وقد أورد الأب "جورج قنواتي" ما يفيد ذلك، يقول عن أسطورة بحيرا "أسطورة مسيحية نشأت فى حضن جماعة فارسية وقد كتبت بالسريانية ثم نقلت إلى العربية وكان لها انتشار واسع فى الأوساط المسيحية فى القرون الوسطى"[٣].

المستوى الثاني: وعلى فرض صحة هذه المقابلة فإن بطلان القول بتعلم النبى من بحيرا ظاهر من عدة وجوه:

الأول: أن مقابلة بحيرا مع الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن على انفراد وإنما كانت مع كل أفراد القبيلة، فهل هذا الجو يسمح بالتعلم أساسًا، فضلاً عن تعليم على مستوى يعجز البشر الإتيان بمثله؟

الثاني: فليبين لنا المستشرقون ما الذى أخذه محمد بالضبط حتى نقف عليه، إن المنهج العلمى الذى يسيرون عليه يفرض عليهم أن يقدموا الدليل على دعواهم وليس عند أحد منهم أثارة من علم فى هذا ولو كان عندهم فليخرجوه لنا إن كانوا صادقين.

---

(١) نفس المرجع السابق ص (١٣٤).

(٢) مقال هوارت بالجريدة الآسيوية عدد يوليو أغسطس ١٩٠٤ بعنوان مصدر جديد للقرآن نقلاً عن الدكتور دراز ص (١٣٤).

(٣) المسيحية والحضارة العربية . وقد حاول الباحث فى لقاء مع الأب قنواتى الحصول على معلومات عن هذه المخطوطة لتحقيقها ولكنه صرفنى عن البحث فى هذه المخطوطة واتقل بالحديث إلى موضوع آخر بعيدًا عن البحث العلمي.

الثالث: أن هذه المقابلة فى حد ذاتها تنفى أن يعلم بحيرا محمدًا لأن بحيرا بشرَّ بالنبى صلى الله عليه وسلم وليس من المعقول أن يؤمن الراهب بهذه البشارة ثم يقف معلمًا للنبى الذى ينتظره، وهو يعلم أن هذا النبى سيتلقى عن الله ثم لو كان هذا الراهب هو الذى علم محمدًا لكان هو الأولى بالنبوة والرسالة.

الرابع: لو صح أن الرسول صلى الله عليه وسلم تلقى من بحيرا لاستفاض ذلك ولعرفه أهل مكة ولسارعوا باتهام النبى بالتعلم من هذا الراهب بدلاً من الحداد الرومى الذى نسبوا إليه زورًا أنه يعلم الرسول القرآن[1].

هذا عن الرد على أصل الشبهة بوجه عام.

أما التفصيلات فهى تتمثل فى الآتي:

١ ـ أن فكرة الوحدانية استقاها محمد من البيئة العربية.

وفى الحقيقة يخلط "جب" المستشرق الإنجليزى وغيره بين فكرتين عن العرب:

الفكرة الأولى: هى وجود الله وتلك كانت حقيقة مسلمة بالفعل عند أهل الجزيرة العربية.

الفكرة الثانية: هى فكرة الوحدانية وهذه الفكرة هى التى كان يدور الجدال حولها وما كفر منْ كَفَرْ وما قُتِلَ من المشركين مَنْ قتل إلا بسببها.

ويأتى العرب ـ ويكذبهم فى هذا القرآن الكريم فى كثير جدًا من الآيات لأن الوحدانية التى نادى بها الرسول صلى الله عليه وسلم ـ هى التى وقف أهل مكة فى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم من أجلها، ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝﴾[2].

والذى لم يسمع عنه أهل مكة من قبل النبى صلى الله يعتبره المستشرقون ذائعًا ومعروفًا، بل ومسلمًا له. وما يفعله المستشرقون قائم على التخبط والاضطراب ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون.

---

(١) انظر مدخل إلى القرآن ص (١٣٤ ـ ١٣٥) ومناهل العرفان للزرقانى (٢/ ٤٢٢) الطبعة الثالثة ، دار الفكر.
(٢) سورة ص الآية (٥ : ٧).

أما ادعاؤهم أن هناك تشابهًا بين قصص الأنبياء فى القرآن والعهد القديم فزعمهم هذا باطل لعدة أسباب:

الأول: أنهم إذا قالوا عرف قصص الأنبياء السابقين عن طريق المشافهة فقد أبطلنا هذا الفرض من جميع وجوهه، إن كان فى الجزيرة العربية أو فى خارجها.

الثاني: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ثم إنه لم تكن ترجمة عربية للكتاب المقدس، وهنالك حدث مؤكد فيما يتصل بالعهد الجديد وهو أنه حتى القرن الرابع الهجرى لم تكن قد وضعت ترجمة عربية مما اضطر الإمام الغزالى أن يلجأ إلى مخطوط قبطى ليكتب كتابًا فى الرد على من ادعى ألوهية المسيح بصريح الإنجيل. وإذا كان القرن الرابع الهجرى لا توجد فيه ترجمة عربية للعهد الجديد فمن باب أولى ألا توجد ترجمة للعهد القديم لكى يتعلم منها النبي، ثم إن القرآن تحدى اليهود أن يظهروا التوراة فلم يفعلوا، وهذا يدل على عدم وجودها زمن النبى صلى الله عليه وسلم.

يقول تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1].

الثالث: أن الله عز وجل كان يعقب على كل قصة يذكرها النبى صلى الله عليه وسلم أن هذه القصة لم يكن يعلمها النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحد من قومه، ففى قصة مريم جاء قول الله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[2].

وبعد قصة سيدنا يوسف عليه السلام جاء قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[3].

أما ادعاؤهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ فكرة البعث والجزاء من جنة ونار عن اليهود والنصارى فهذا من أعجب العجب، وكما يقال إذا لم تستح فافعل

---

(١) سورة آل عمران الآية (٩٣) وانظر الظاهرة القرآنية ص (٢٥٢ ـ ٢٥٤) مالك بن نبي.

(٢) سورة آل عمران الآية (٤٤).

(٣) سورة يوسف الآية (١٠٢)، وانظر سورة هود الآية (٤٩) وسورة القصص الآية (٤٦ : ٣٣).

ما شئت.. ها هو العهد القديم والعهد الجديد أمامنا بطبعاته الأجنبية أو بترجماته العربية.

أين ما فى العهد القديم من نصوص حول البعث حتى يأخذها الرسول صلى الله عليه وسلم منه؟

إن الأسفار الخمسة تخلو عن أى إشارة عن البعث والجزاء اللهم إلا من نص واحد مختلف حوله هل المقصود به الجزاء فى الدنيا أو فى الآخرة؟

هذا النص هو:

"أليس مكنوزًا عندى مختومًا عليه فى خزائنى لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم"(١). وقد اختلف حوله (٢).

ونحن لا نسلم بخلو التوراة من البعث والجزاء لأنه لا يمكن لكتاب من عند الله منزل وليس فيه الحديث عن الآخرة، ولكن نقول لهؤلاء المستشرقين إن العهد القديم أمامكم فأخرجوا منه النصوص التى تدل على البعث والجزاء، بل إن اليهود أنفسهم يعترفون بذلك، ولا أدرى لماذا لم يتنبه اليهودى المجرى جولد تسهير لذلك؟

أما العهد الجديد فهو موجود أيضًا، فليخرج لنا المستشرقون أوصاف الجنة التى زعم محررو دائرة المعارف الإسلامية أن الرسول تأثر بالنصارى فى أوصافها، ها هو أحد النصارى يصرح بأن العهد الجديد "لم يقل إلا قليلاً لإشباع رغبة حب الاستطلاع والوقوف على وصف تفصيلى مسهب للعالم الآخر"(٣).

إن الأمر عند المستشرقين ليس أمر تأثير ولكن التعصب الأعمى هو الذى يجعلهم يرفضون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويسلمون بنبوة موسى وعيسى إن كانوا من النصارى أو بنبوة موسى، إن كانوا من اليهود، إن ما يقومون به من رفضهم وطعنهم فى نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتناسب مع العقل والمنطق والبحث العلمي.

---

(١) سفر التثنية ٣٢ـ ٣٤ : ٣٥ .

(٢) انظر السنن القويم فى تفسير العهد القديم (٢/ ٥٠) الناشر مجمع كنائس الشرق الادنى سنة ١٩٧٣ ، وانظر التوراة السامرية سفر تثنية الاشتراع ٣٤ : ٣٨ ص ٣٩٢ ، ٣٩٣.

(٣) أديان العالم . حبيب سعد ص (٢٤٨)، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

يقول الدكتور البهي: "إن الأمر الذى يجب أن ينكره البحث العلمى بهذا التحديد فهو أن يناقش نوع من الوحى ويتشكك فيه باسم العلم ثم يصان نوع آخر منه على أنه بديهى التسليم وبعيد عن مجال الجدل العقلى النظرى أو العلمى التجريبي"[١].

وهذا ما يفعله المستشرقون، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض والوحى كل لا يتجزأ، فإذا ما آمن الإنسان بمبدأ الوحى فإن ذلك يجب أن يشمل كل الوحى لا فرق بين وحى ووحى آخر.

(١) الفكر الإسلامى الحديث ص (٢٢٠).